

SOCIALISM • СОЦИАЛИЗМ • SOCIALISMUS • CHU NGHIA XAHOI • SOZIALIS

- الموقف من معاهدة بنما
- الاحتكارات ووسائل الإعلام
- التعليم العالى فى ظل الاشتراكية
- دراسة عن :

مشكلة الطاقة

السنة السابعة
٣

مارس ١٩٧٨



الأطفال يتطلعون إلى عالم مشرق



دراسات اشتراكية

مجلة شهريــة ● تصــدر عن دار الهـــلال ● الســنة السابعة "٣" ● مارس ١٩٧٨

مشكلة الطاقة

بقلم : اب نورلاند

فى مختلف ميادين التطور ، يواجه العالم الحديث تناقضات ومشاكل تحتاج الى الحل دون تأخير . والعديد من هذه المشاكل عالمى ، يتوقف حله ليس فقط على جهود بلدان مفردة وانما على بلدان العالم بأسره . واحدى هذه المشاكل هى مشكلة الطاقة ، التى يجد عدد كبير من البلدان أنها مشكلة حادة على وجه الخصوص . وبالاضافة الى كونها مشكلة عالمية ، فقد أثرت كذلك بدرجات متباينة على الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وذات المستوى المختلف من التطور الاقتصادى : البلدان الرأسمالية المتطورة ، والبلدان النامية .

ومشكلة الطاقة مصدر لقلق قوى اجتماعية واتجاهات سياسية مختلفة تبحث عن استراتيجية لحلها وفقا لمصالحها وأغراضها الاجتماعية . ويسعى الشيوعيون ، باعتبارهم الطليعة السياسية للطبقة العاملة ، الآن كذلك لفهم نظرى لمشكلة الطاقة .

ويؤكد ايديولوجيو البرجوازية أن هذه المشكلة ، مثل المشـــاكل الدولية الاخرى ، لايمكن أن تكون هدفا لصراع سياسى داخل المجتمع الرأسمالى ، وأن على كافة أقسامها أن توحد قواها من أجل تنفيذ برامج الطاقة التى اقترحتها حكومات البلدان الرأسمالية ، مما يعنى أن على الطبقة العاملة كذلك أن تلتزم التزاما صارما بالخط السياسى البرجوازى حول هذه المسألة • وهذا بالطبع ، ليس صحيحا • فالدوائر الحـاكمة فى المجتمـع البرجوازى تتجـه الى رسم استراتيجيات لمعالجة المشاكل التى تعكس الطبيعة الطبقية لهذا المجتمع والتى تتناقض مع المصالح الحيوية والاهداف الاجتماعية للطبقة العاملة ، التى تعبر عن مصالح كل الجماهير العاملة الاخرى وكل البشرية التقدمية • ولهذا السبب ينبغى للطبقة العاملة أن تكون لها استراتيجيتها الخاصة فى هذا الميدان بالاضافة الى فكرة واضحة عن المهام الجديدة التى تواجهها والعوامل الجديدة التى عليها أن تعمل لها حسابا فى نضالها •

ومشكلة الطاقة هى مشكلة توفير موارد الطاقة واحتياطيات طويلة المدى لاستخدامها عند الحاجة • لقد كانت مشكلة الطاقة على الدوام مشـــكلة عبر التاريخ وأصبحت حادة على وجه الخصوص فى المرحلة الحالية •

وفاقم من مشكلة الطاقة عوامل خطيرة • فأولا ، فى القرن الحالى ، وبخاصة مع بدء الثورة العلمية والتكنيكية ، كانت هناك زيادة حادة فى احتياجات البشرية للطاقة وحجم موارد الطاقة المستغلة والمستخدمة ، وبخاصة الموارد غير القابلة للتجديد ، التى تتجه لان تزداد أهميتها فى امداد الحياة الانسانية والنشاط الانتاجى بالطاقة ، مع تطور القوى المنتجة • وثانيا : كانت مشكلة الطاقة فى الماضى مشكلة قومية تجد تعبيرها فى عجز الموارد القومية عن تلبية احتياجات الطاقة لهذه الدولة أو تلك « عجز استكمل بالاستيراد من سوق الطاقة العالمى » واليوم توجد مشكلة طاقة عالمية : امكانية نفاذ موارد الطاقة فى العالم ، وعجز المخزون المحدود للموارد غير القابلة للتجديد عن الوفاء باحتياجاتها للطاقة ، وعدم وجود بدائل مماثلة •

ودون انكار الاخطار الحقيقية لمشـــكلة الطاقة ، فان المحللين التقـدميين والشيوعيين يعتقدون بأنه من الممكن حلها لصالح البشرية بأسرها ولصـــالح البلدان المفردة • ولذلك لابد من توفر شرطين : ١ ـ الاستخدام الرشـــيد للمخزون المتاح من الموارد الطبيعية ، وبخاصة غير القابلة للتجديد ، لضمان بقائها أطول فترة ممكنة ، ٢ ـ البحث عن مصادر جديدة للطاقة ، بما فى ذلك استخدام الطاقة الذرية ، والمياه الجوفية الحارة ، والرياح ، والمد والجذر ، وطاقة الشمس ، وهكذا (١) • وهذه المهام متداخلة للغاية : فالاســـتخدام

---

(١) لم اذكر شيئا عن الجانب الثالث الهام للمشكلة ، وأعنى به ، تلوث الغـلاف الجوى بالعوادم والنفايات المتخلفة عن توليد الطاقة ، وهى مشكلة يتزايد نطاقها وأثرها مع تطور علوم الطاقة ، ان ذلك له عـــلاقة اكبر بالتلوث الصناعى للبيئة منه بمشكلة الطاقة نفسها •

الرشيد للموارد المستغلة والتى على وشك الاستغلال يسمح للبشرية تدريجيا بتطوير مصادر جديدة للطاقة ، وبادخالها الى موازين الطاقة وبالتالى الى سد جزء من احتياجاتها ، وبذلك تطور بالتدريج تكنولوجيا جديدة وبنية سفلية صناعية لازمة لاستخدامها على نطاق واسع • واذا ما استنزفت الموارد المتاحة فى فترة قصيرة لا مبرر لها ، فستواجه البشرية الحاجة الى تطوير صناعة طاقة جديدة تماما • وبدلا من أن تنمو بشكل طبيعى من الصناعة القديمة ، فقد يصبح من اللازم أن تنشأ من حطامها على حساب جهد مادى ومعنوى هائل •

والاستخدام الرشيد للمخزون غير القابل للتجديد من الوقود المعدنى مستحيل دون هيكل رشيد لميزان الطاقة ، ينهض بأعباء استهلاك لموارد الطاقة يتمشى بشكل عام على الاقل مع نصيبها فى مخزون الطاقة العالمى • بيد أن ميزان الطاقة فى العالم الحديث ، يتناسب عكسيا وبشكل حاد مع استهلاك مصدرين طبيعيين فقط من مصادر الطاقة ــ النفط والغاز ــ باعتبارهما سائدين فى هيكله • وقد طفيا الى سطح ميزان الطاقة عندما حلت محل أنواع الوقود الاكثر انتشارا والاقل استخداما • ففى بداية القرن ، كانت بنية استهلاك الطاقة فى العالم تتمشى مع بنية مخزون الطاقة « فى ١٩٠٠ كان الفحم يشكل ٩ر٩٤٪ من الاستهلاك ، والنفط ٩ر٣٪ ، والغاز ٢ر١٪ » ولكن فى أوائل السبعينات تطور الامر الى تناقض صارخ : فقد هبط استهلاك الفحم الى ٣ر٢٣٪ بينما ارتفع استهلاك النفط والغاز الى ٨ر٧٣٪ •

وفى نفس الوقت لايزال الفحم يشكل أكثر من ٩٠٪ من المخزون العالمى للوقود غير القابل للتجديد ، بينما يشكل النفط والغاز ، على التوالى ، ٦٪ و ٨٥ر١٪ فقط •

وترجع سيادة النفط والغاز جزئيا الى مزاياهما التكنولوجية الواضحة ، التى تجعل من ازاحة أنواع أخرى من الوقود لهما أمرا مستحيلا فى بعض الصناعات • بيد أن مزاياهما التكنولوجية فى العالم الرأسمالى ليست هى السبب الوحيد فى أنهما طفيا الى سطح ميزان الطاقة • وأحد العوامل الهامة خلف تشكيل عدم اتساق ميزان الطاقة هو أن التنقيب عن أنواع الوقود المحدودة ولكن السهلة التشغيل بدرجة أكبر ، أقل حاجة لرأسمال المال نسبيا كما يعتبر مجالا للنشاط الاقتصادى أكثر ربحا •

لقد سعت الاحتكارات الدولية عن عمد الى احتكار سوق الطاقة بازاحة الانواع الاخرى من موارد الطاقة • وهكذا ، ضمنت احتكارات النفط الاساسية فى الولايات المتحدة ، مع نهاية الستينات ، السيطرة على مخزون كبير من الفحم ، وأوقفت استغلاله بالفعل • كما أقامت لنفسها مراكز هامة فى الطاقة النووية ،

وبذلك حولت نفسها الى احتكارات للطاقة . وباستخدام نفوذها على الفروع الاساسية للانتاج والتسويق فى مجال الطاقة ، أصبحت الان قادرة على تعديل هيكل ميزان القوى بنشاط ، وتغييره فى الاتجاه الذى يلائمها .

ان ازاحة الفحم من مركزه السائد ذات يوم فى ميزان الطاقة واستبداله بالنفط والغاز ، والتحول من طاقة « الفحم » الى « النفط » جعل كثيرا من الاقتصاديات تعتمد بصورة متزايدة على استيراد النفط والغاز ، وعلى وضع الطاقة عالميا . وفى نهاية الامر ، فليس لدى كل بلد مايكفيه من موارد الطاقة : فبلد صغير مثل الدانمرك ، لايملك موارد للنفط أو الغاز خاصة به ، عليه أن يغطى ٩٠٪ من ميزان الطاقة من خلال استيراد النفط ومنتجاته .

ومع ذلك ، فان قوانين الاقتصاد الرأسمالى قد زادت من ضيق المساحة الجغرافية التى يستخرج منها النفط والغاز . وحتى حيث يمتلك بلد رأسمالى متطور مكامنه المعقولة الحجم من النفط والغاز ، نجده يفضل استخدام موارد للطاقة أرخص ـ وبالتالى أكثر « ربحية » ، يحصل عليها من الشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية ، وغيرها من مناطق العالم الاقل تطورا . وينطبق ذلك الوضع على الولايات المتحدة الامريكية : فمن ١٩٥٠ حتى ١٩٧٢ ، زادت واردات الولايات المتحدة من النفط الخام ، وهى تمتلك مكامنها المعقولة منه ، أكثر من تسعة أضعاف ، بينما انخفض الاستخراج الداخلى باطراد . وفى عام ١٩٧٢ قامت الاحتكارات الامريكية الخمسة الرئيسية فى الاتحاد الدولى للنفط ـ اكسون ، سوكونى موبيل أويل ، تكساكو ، حلف أويل ، ستاندرو اويل أدف كاليفورنيا ـ باستخراج أقل من ٢٠٪ من النفط من حقول النفط الامريكية بينما زاد النفط المستورد من الشرق الاوسط عن ٥٥٪ . واليوم ، زاد بدرجة أكبر نصيب النفط المستورد فى ميزان الطاقة الامريكى .

وأمام الاحتكارات الرأسمالية فرص لتحقيق أرباح احتكارية نتيجة للهيكل المتغير والجغرافيا الاقتصادية للطاقة ، مستفيدة من اعتماد سوق الطاقة على المصدر المحدود بشكل مصطنع لمواد الوقود . ولهذا الغرض سعت الى تخفيض أسعار الجملة للنفط الخام فى السوق العالمى ، ممارسة ضغطا اقتصاديا وسياسيا على البلدان المصدرة للنفط ، فى الوقت الذى رفعت فيه أسعار التجزئة لمنتجات النفط فى البلدان الرأسمالية المتطورة .

وقد واجه نظام الاستغلال المزدوج هذا للجماهير العاملة فى البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان النامية اضطرابات خطيرة خلال « أزمة الطاقة » عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .

ويزعم المحللون والسياسيون البرجوازيون أن أزمة الطاقة هى اما العرض الاول لنضوب قريب لموارد الطاقة المتاحة ، أو أنها نتيجة للعمل الحازم من جانب البلدان المنتجة للنفط . وتكمن جذور أزمة الطاقة بالفعل فى الاقتصاد الرأسمالى ذاته .

كانت أزمة الطاقة نتيجة طبيعية لازمة النظام المالى والنقدى للرأسمالية . ومظهرا هاما لازمته العامة • ان تغير القيمة التبادلية للدولار ادى الى انخفاض كبير فى دخول النفط الحقيقية للبلدان المنتجة للنفط • وبالاضافة الى ذلك ، واجهت البلدان النامية خطر تزايد انخفاض سعر موارد الطاقة ، اذ أن البلدان الامبريالية قد سعت مرارا فى الماضى الى الخروج من الازمة الاقتصادية بالقاء عبئها على البلدان النامية •

ومع ذلك ، فقد استفادت البلدان الاعضاء فى منظمة الاوبك ، حيث تلعب البلدان النامية الدور الرئيسى ، من الوضع السياسى المتغير فى المجال الدولى وازدياد نفوذ قوى السلام والتقدم الاجتماعى فى الشئون الدولية ، ووقفت بحزم ضد السياسة الأمبريالية لاستغلال مواردها الطبيعية . لقد ادخلت زيادات ضخمة على أسعار النفط وحدت لفترة ـ ١٩٧٣ و ١٩٧٤ ـ من بيعه للبلدان الرأسمالية المتطورة • ومن المفيد أن نشير هنا الى أنه حتى فى اكثر الفترات حدة من أزمة الطاقة كانت امدادات النفط الى هذه البلدان فى مستوى كان تماما للمجرى المعتاد للنشاط الاقتصادى •

ان احتكارات الطاقة الدولية وقد فقدت بعضا من أرباحها بسبب العمل الحازم من جانب البلدان المنتجة للنفط ، لم تعوض خسائرها فحسب من خلال الاستغلال المكثف لجماهير المستهلكين فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، ولكنها استفادت كذلك من الوضع الناجم لرفع دخلها الى أقصى حد • وقد ثبت الان من خلال عدد من الدراسات أن أزمة الطاقة فى العالم الرأسمالى أصبحت حادة للغاية وأدت الى هذه الاثار الخطيرة بالنسبة للاقتصاد بسبب نشاط الاحتكارات الدولية ، التى اما سمحت لها بالتطور واما أشعلتها بالفعل •

وسعت الاحتكارات الى اقناع الجماهير بأن نمو الاسعار فى السوق المحلى انما يتفق تماما مع نمو الاسعار فى السوق العالمى ، ويرجع الى زيادة أسعار الجملة من جانب مصدرى النفط • وكان هذا تفسير واه : فأسعار منتجات النفط فى البلدان الرأسمالية المتطورة قد زادت بالفعل عدة مرات عن أسعار النفط الخام فى السوق العالمى • وهكذا توصلت لجنة فى الجمعية الوطنية الفرنسية ، قامت بدراسة نشاط احتكارات النفط خلال أزمة الطاقة ، الى استنتاج مفاده أنها حددت أسعار منتجات النفط فى مستويات لا علاقة لها بتكاليف الانتاج أو بأسعار النفط الخام ، وكان يدفعها فحسب حافز الوصول بأرباحها الى الحد الاقصى • وحدث نفس الشىء فى كافة البلدان الرأسمالية المتطورة •

حاولت الاحتكارات خلق انطباع بأن امدادات النفط محدودة وغير كافية لدرجة خطيرة • ورغبة منها فى حماية أرباحها ، فقد أخفت بالفعل عن الجماهير والحكومات المخزون الفعلى المتاح من النفط ومنتجاته ، بل حتى أخرت من وصول الناقلات حتى زادت قيمة حمولتها • وكنتيجة لذلك دخلت أزمة الطاقة أحد

أطوارها لا فى ١٩٧٣ ، عندما طبقت البلدان النامية قرارات الحظر ، وانما فى ١٩٧٤ عندما انقلب العجز فى الوقود فى العام السابق الى زيادة بلغت أكثر من ثلاثة أضعاف من خلال استيراد منتجات النفط ٠

لقد ساعدت أزمة الطاقة الاحتكارات على تحقيق أرباح هائلة ٠ فخلال سنوات الازمة ، زادت الشركات الامريكية الخمسة الكبيرة وحدها ، والتى هى أعضاء فى الاحتكار الدولى للنفط ، من دخولها ١١٠٪ ٠

وفى الوقت الذى استغلت فيه أسواق الطاقة فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، حاولت الاحتكارات كذلك تقويض وحدة الاوبك واجبارها على وقف زياداتها المطردة فى الاسعار ، التى تعكس تدهور أسعار تبادل العملات الرأسمالية ، وتؤدى فى الواقع الى خفض سعر النفط الخام ٠

وقد ولدت أزمة الطاقة عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ مشاكل حادة للاقتصاد الرأسمالى وزادت من حدة التناقضات الاجتماعية ٠

فالامداد المحدود لموارد الطاقة الى البلدان الرأسمالية المتطورة كان سببا فى اضطرابات اقتصادية خطيرة ، وخلق وضعا صعبا فى القطاعات الاساسية للاقتصاد وأدى الى تدهور ملحوظ فى النشاط الاقتصادى ٠ وكأى أزمة اقتصادية ، كان لازمة الطاقة تأثيرها أولا على حياة الجماهير العاملة والطبقة العاملة ٠ وكان لها تأثير حاد غير مواتى على العمالة ، مما أدى الى اغلاق مؤسسات مختلفة لاعتبارات متعلقة بالطاقة ، وترتب على ذلك تضخم جيش العاطلين بالفعل ٠ ان خفض ساعات العمل وانتقال عدد كبير من المؤسسات الى اسبوع عمل أقصر لاقتصاد الطاقه أدى الى خفض الدخول الحقيقيه لذلك الجزء من الطبقة العاملة الذى مازالت لديه وظائف ٠ وأخيرا فان الاسعار المرتفعه للوقود والكهرباء قد زادت من تكاليف الاسكان ونفقات الاسرة المرتفعة ٠

واستخدمت الاحتكارات سوق الطاقة الاضيق ليس فقط لزيادة أرباحها وانما أيضا للابتزاز والاملاء السياسى ٠ واستنادا الى أن الحياة الاقتصادية فى مختلف البلدان تعتمد على تدفق موارد الطاقة ، التى تسيطر عليها احتكارات الطاقة الدولية ، شن رأس المال الاحتكارى هجوما مباشرا معاديا للديموقراطية على مكتسبات الطبقة العاملة ، ساعيا الى الحد من حقها فى الدفاع عن مصالحها الطبقية وتغيير الوضع السياسى فى البلدان الرأسمالية المتطورة ليصبح مناسبا له ٠

وحاولت حكومات البلدان الرأسمالية التغلب على أزمة الطاقة عن طريق تصحيح عدم التناسب فى ميزان القوى فى الاقتصاد الرأسمالى . وعن طريق تشغيل أنواع جديدة من موارد الطاقة وتطوير فروع جديدة من علوم الطاقة -

ولم تقدم هذه السياسة بعد أى حل عملى للجوانب الهامة بالمثل للمشكلة ، وفى المحل الاول مسألة الظروف الاجتماعية للاستخدام الرشيد للطاقة .

ولم تحاول الدوائر الحاكمة فى هذه البلدان وقف سرقة الجماهير العريضة للشعب فى وضح النهار . لم تفعل أية حكومة رأسمالية شيئا فعالا ضد مؤامرات احتكارات الطاقة الدولية . بينما اتخذت الاجراءات لالقاء العبء الاساسى لازمة الطاقة على كاهل جماهير الشعب . وفرضت ضريبة على منتجات النفط فى الدانيمرك كما فى غيرها من البلدان الرأسمالية ، وألقى ذلك عبئا كبيرا على جماهير المستهلكين .

وفى نفس الوقت ورغم نقص موارد الطاقة ، كانت لاتزال تبدد للاغراض العسكرية المرتبطة بسباق التسلح .

وأقصى ما استطاعت الحكومات البرجوازية أن تفعله هو أنها اقترحت النهب « المنظم » للجماهير العاملة ، وهى السياسة التى سعت الحكومة الامريكية الى اتباعها بين أشياء أخرى (١) . واعترفت الحكومة بالفعل بحق الاحتكارات فى استنزاف أرباح أكثر وأكثر من المستهلك . وكان الخلاف الوحيد بين مهندسى سياسة الطاقة الجديدة واحتكارات النفط والغاز حول حجم الضريبة التى يجب أن تفرض على سوق الطاقة . ووفقا للبيانات الرسمية وصلت الارباح من صناعة النفط والغاز فى الولايات المتحدة الى مبلغ ١٨ر٠٠٠ مليون دولار . وتتوقع الاحتكارات ، التى تتمتع بالسيطرة على هذا الفرع من الاقتصاد ، أن ترتفع أرباحها عام ١٩٨٥ الى ١٥٠ر٠٠٠ مليون دولار . وفى نفس الوقت اقترحت الحكومة نموا منتظما للاسعار ولكنها ضمنت فقط ١٠٠ر٠٠٠ مليون دولار من الارباح فى ذلك العام . وفى ذلك الوقت ليس من الواضح ما اذا كان فى مقدور الحكومة أن تحرم الاحتكارات من ١/٣ مكاسبها المتوقعة ، لكن من الواضح تماما أن هذا لن ينقذ جماهير المستهلكين من ارتفاع كبير فى الاسعار . والحجة الوحيدة للحكومة دفاعا عن سياستها هى أنه مالم تنظم الاسعار فمن الممكن أن تتضاعف بالنسبة للغاز مثلا ، ١٥ مرة . وتبين السياسة « الجديدة » أن الحكومات البرجوازية لاتستطيع أن تفعل شيئا للتحكم فى احتكارات الطاقة أو لحل مشكلة مكامن النفط والغاز لصالح المجتمع فى مجموعه .

والمجتمع البرجوازى عاجز عن حل المشاكل الاجتماعية الحادة فى توزيع موارد الطاقة « التقليدية » . كما أنه لايستطيع أن يفعل شيئا حيال استخدام

---

(١) وتستهدف هذه السياسة كذلك اجراءات مثل توفير موارد الطاقة عن طريق الحد من استهلاك الطاقة ، وتطوير المصادر القومية للحد من الاعتماد على السوق ، الخ . ومع ذلك فان هذه الاجراءات ليست جديدة فى حد ذاتها وقد اقترحت فى أكثر من مناسبة فى برامج الحكومات البرجوازية .

موارد الطاقة الجديدة دون توليد مشاكل جديدة وعلى نفس الدرجة من الحدة ٠ والطاقة النووية يمكنها أن تكون مثل هذا المصدر الجديد فى الدنمرك ٠ بيد أن علم الطاقة النووية قد أصبح الان مجالا هاما للنشاط الاقتصادى للاحتكارات الدولية ، التى ترى فيه مصدرا كامنا لفائض أرباح احتكارية جديدة ٠ وهكذا يتضح أن الطاقة النووية ، اذا ما استخدمتها الاحتكارات ، ليست فقط وسيلة لزيادة سرقة جماهير الشعب ، وانما ستكون أيضا مصدرا لاخطار متزايدة. ان الاستخدام غير المنظم لمصادر الطاقة القوية والخطرة حراريا يحمل فى طياته امكانية تلوث البيئة بالمواد المشعة التى تقتل كل الحياة ٠ ولهذا السبب تحتج الجماهير العاملة ضد استخدام الاحتكارات للطاقة النووية ٠

ان الاستخدام المتناقض للمنجزات العلمية والتكنيكية فى ظل الرأسمالية هو سمة طبيعية للمدنية البرجوازية أشارت اليها كلاسيكيات الماركسية اللينينية منذ زمن طويل ٠ وكتب انجلز عن ذلك فى كتابه ، جدليات الطبيعة ، يقول : « فى علاقتها بالطبيعة ، كما فى علاقتها بالمجتمع ، فغالبا ماتهتم طريقة الانتاج الحالية فحسب ، بالنتيجة العاجلة ، الملموسة بدرجة أكبر ، ثم يعربون عن دهشتهم من أن أبعد آثار الاعمال الموجهة نحو هذه الغاية يتضح أنها مختلفة تماما ، وغالبا ماتكون العكس تماما فى طابعها » ٠ (١)

والحد الاقصى من الارباح ، الذى يجعل رجال الاعمال يتجاهلون المهام الاجتماعية الاعرض ، هو الهدف العاجل والاهم للنشاط الاقتصادى الرأسمالى ٠ وهذه النتيجة يولدها على الدوام النشاط الاقتصادى فى المجتمع الرأسمالى ، ولايمكن أن يقضى عليها نشاط الحكومات البرجوازية ٠ ان التناقض بين الاهداف المحدودة للانتاج الرأسمالى ، والتى يحددها علاقات الانتاج الكامنة ، ونمو القوى المنتجة تحت تأثير الثورة العلمية والتكنيكية الجارية هما السببين الاصليين للازمة التى تزداد عمقا فى التطور العالمى ٠

ولقد قال ماركس أنه فى المجتمعات المتناحرة ، بما فى ذلك المجتمع الرأسمالى يتم التغلب على التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج من خلال صراع الطبقات ٠ ولهذا السبب ، فان على الطبقة العاملة ، القوة التحويلية الرئيسية فى المجتمع ، أن تجد حلولا للمشاكل التى تظهر فى « الحياة العالمية » للبشرية وتبين طرق حل هذه المشاكل ، سواء فى ضوء الافق التاريخى أو لتنظيم العمل العاجل فى الوقت الحاضر ٠

والشيوعيون الدنمركيون يبنون تحليلهم لاشكال وأساليب حل التناقض فى تطور القوى المنتجة فى ميدان الطاقة على نقطتين ٠ أولا ، أنهم يضعون فى حسابهم الحقيقة الماثلة فى أن بعض الافاق المبشرة للغاية للتطور البشرى ترتبط

---

(١) فريدريك انجلز ، جدليات الطبيعة ، موسكو ، ص ١٨٣ ٠

دون شك بالاستخدام الرشيد للطاقة النووية ، عندما تسخر الطاقة لخدمة السلام • وثانيا : فهم لايفوتهم أبدا أن مصالح الاحتكارات في ميدان الطاقة النووية تحددها الاعتبارات الضيقة لتحقيق الارباح وأن الرأسماليين يسعون الى تجنب أي التزام لتطوير صناعه الطاقة لصالح المجتمع • ويعارض الشيوعيون هذا الاستخدام للمنجزات العلمية والتكنيكية ، ولكنهم لايعارضون التقدم العلمي والتكنيكي بشكل عام • ومسألة الاستخدام الصحيح للطاقة النووية هي أحد المسائل المتعلقة بالنضال المعادي للاحتكار ، والصراع الطبقي •

والاخطار التي تخلقها الاحتكارات من خلال معالجتها التعسفية للقوى الجبارة للذرة تقدم لنا الان مع ذلك حجة جديدة لصالح التحولات الاجتماعية الجذرية • فأزمة الطاقة ، التي لايوجد حل مقبول لها في ظل السيطرة المستمرة للاحتكارات تدعو الى اقامة علاقات انتاج اشتراكية ، مع انتقال المجتمع بالتالي الى الشيوعية.

ومع ذلك فان التحويل الثوري للمجتمع الرأسمالي وبناء الاشتراكية والشيوعية هو الهدف الاستراتيجي البعيد للشيوعيين • فماذا ينبغي أن تكون عليه استراتيجيتهم اليوم ، في مرحلة النضال في المجتمع البرجوازي وفي ظل القمع الاقتصادي والسياسي والروحي الرأسمالي ؟

اننا نعتقد أن خطا استراتيجيا عقلانيا يجب أن يتجه نحو هذه المهمة المزدوجة : فمن ناحية ينبغي منع الاحتكارات من توليد مشاكل جديدة بل وأكثر خطورة ، ومن ناحية أخرى ، ينبغي منعها من حل المشاكل العالمية ، بما في ذلك مشكلة الطاقة ، على حساب الطبقة العاملة والجماهير الشعبية الاخرى •

ومثل هذا التغيير في الظروف الاجتماعية لتطوير مجال الطاقة واستخدام أحدث منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية في هذا القطاع من الاقتصاد لايعتبر فحسب مقدمة منطقية لتسوية أزمة الطاقة والقضاء على الاخطار المرتبطة بتقدم صناعة الطاقة • انه شرط ضروري كذلك لمواصلة تحويل المجتمع •

وتتميز آراء الشيوعيين النظرية ونشاطهم العملي بامتزاج جدلي بين المصالح الانسانية العامة والطبقية الاجتماعية • وفي معارضتها للايديولوجية والسياسة البرجوازية لحل المشاكل العالمية ، تعبر الطبقة العاملة ليس فقط عن موقفها الطبقي الاجتماعي وانما تحمي كذلك مستقبل البشرية بأسرها • وهي تمنع البرجوازية من توسيع هذه المشاكل العالمية وتعميقها • ويعطي ذلك مغزى عالميا لنضال الطبقة العاملة من أجل مشكلة الطاقة وغيرها من المشاكل العالمية ويبين أنها تعبر عن مصالح البشرية بأسرها •

●

الدراسة الثانية

الاحتكارات ووسائل الإعلام

بقلم : روبرت فيليبوف

((ان السمات السياسية المحددة للامبرياليةهى الرجعية على طول الخط والقهر القومى المتزايد الناجم عن قهر الاوليجاركية المالية والقضاء على المنافسة الحرة)) ((ف . أ . لينين ، الاعمال المختارة ، المجلد الاول ، دار النشر باللغات الاجنبية ـ موسكو ١٩٥٢ صفحة ٥٤٩))

ان نمط ملكية وسائل الاعلام فى الولايات المتحدة قد ربط بعمق بينها وبين المؤسسة العسكرية الصناعية ، وجعل منها مرفأ لمؤامرات وكالة المخابرات المركزية والمؤامرات الرجعية . وهذه النتيجة وغيرها من نتائج سيطرة الاحتكار على وسائل الاعلام هى موضوع هذا المقال .

والمالكون الرئيسيون لوسائل الاعلام هم :

شركة ايه بى سى ١٦٪ . وستنجهاوس ١١٪ . شركة سى بى اس ١١٪ . ماكورميك ــ باترسون ٩٪ . شركة ان بى سى « آر سى ايه » ٩٪ آر كى أو « جنرال تاير » ٨٪ .نيوهــاوس ٧٪ كاولز ــ ويدر ٦٪ . مترومیدیا ٦٪ كابيتال سيتز ٦٪ . ستورر ٥٪ سكريبس هاوارد ٥٪ هيرست٥٪ (١)

ومن بين هذه ، يوجد عديد من كبرى الشركات ذات التعاقدات العسكرية فطبقا لاخر البيانات المتاحة ، كانت وستنجهاوس ، خلال السنة الماليــة ١٩٧٥ ، تحتل المركز الحادى والعشرين بين الشركات التى حصلت على أعلى عقود من البنتاجون بما قيمته ٣١٥ مليون دولار ، وجاءت آر سى ايه فى المركز الخامس والعشرين وحصلت على عقود قيمتها ٢٨٦ مليون دولار ، وجاءت جنرال تاير فى المركز السابع والثلاثين وحصلت على عقود قيمتهــا ١٦٩ مليون دولار « وزارة الدفاع ، الشركات المائة التى حصلت على أعلى عقود عسكرية عام ١٩٧٥ » .

وهذه الشركات وغيرها مثل جنرال اليكتريك ، احـــدى كبرى شركات انتاج الاجهزة الاذاعية والتى جاءت فى المركز السابع بين الشركات التى حصلت على أعلى عقود عسكرية من البنتاجون « اذ حصلت على عقـــود قيمتها ٣ر١ بليون دولار عام ١٩٧٥ » تحتل قلب المؤسسة العســـكرية الصناعية وكذلك صناعة وسائل الاعلام .

ويتبلور هذا التكافل المتبادل فى اتحاد القوات المسلحة للمواصـــلات والاليكترونيات الذى يضم بين أبرز أعضائه شركات مثل آر سى ايه ، واى تى تى ايرو سبيس وبوينج . ويضم « أعضاء مجمـــوعته » أكثر من ٢٢٥ شركة لصناعة الذخائر والاليكترونيات والشركات المرتبطة بها . وأحد نواب رئيس هذا الاتحاد هو هـ . ر . هوكنز من شركة آر سى ايه الشركة « الام » لشركة ان بى سى .

فى سنة ١٩٦٥ ، ألقى ديفيد سارنوف ، الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس ادارة شركة آر سى ايه ، خطابا فى مأدبة الاجتماع السنوى لاتحـــاد القوات المسلحة للمواصلات والاليكترونيات . وبوصفه المدير الدائم للاتحاد أعلن « التحالف العامل للقيادة الصناعية والعسكرية الذى تمثله هـــذه المنظمة » . وقال « لقد استغرق الامر قرابة قرنين من الزمان وعديدا من الصراعات المتدة لكى نتعلم أن غياب هذا التحالف الحيوى فى زمن السلم

---

(١) مجموعات تمتلك صحفا .

يمكن أن يكلفنا غاليا فى زمن الحرب » وأن « اتحاد القوات المسلحة للمواصلات والاليكترونيات قد صاغ وحدة للمصالح الوثيقة الارتباط بحيث أن كل مايؤثر فى تقدم أحد الشريكين ينعكس على تقدم الشريك الاخر »

وينعكس هذا « التحالف الحيوى » فى ميزانية « المخابرات والاتصالات» التى رصدتها وزارة الدفاع للسنة المالية ١٩٧٦ وبلغ قدرها ٦ر٧ مليار دولار « ميزانية حكومة الولايات المتحدة ، السنة المالية ١٩٧٨ » .

وقد لاحظت مجلة فارايتى منذ أكثر من عشر سنوات تبعية وسائل الاعلام للبنتاجون فقالت : « واليوم فان أساطين الاذاعة ، بحكم الروابط الابوية ، متورطون ببساطة فى العقود الحربية والعمل القومى والدولى » « ٢٨ ديسمبر ١٩٦٦ ص ١ و ص ٥٤ » .

وكالة المخابرات المركزية :

فى عام ١٩٦٧ كشف القناع علنا عن راديو أوربا الحرة بوصفه تابعا لوكالة المخابرات المركزية . وكان أحد الاعضاء الحاليين فى لجنة المواصلات الاتحادية وهو أبوت م . واشبيرن نائب المدير التنفيذى للحملة من أجل الحرية « راديو أوربا الحرة » خلال عامى ١٩٥٠ — ١٩٥١ .

وفى ٢٣ يناير من العام الماضى أوردت صحيفة واشنطن بوست فقرات من دراسة لم تذع للجنة المخابرات بمجلس النواب الامريكى . وجاء فى هذه الدراسة أن « التدفق الحر للانباء ، وهو حيوى بالنسبة للصحافة المسئولة والموثوق بها ، قد تعرض للتهديد نتيجة استخدام وكالة المخابرات المركزية لاجهزة الاعلام العالمية كستار ولجمع المعلومات فى الخفاء . » وجاء فى هذه الدراسة أيضا أن هناك أحد عشر شخصا من عملاء المخابرات المركزية المتفرغين يعملون فى الخارج تحت ستار أنهم صحفيون وان لدى وكالة المخابرات المركزية ترتيبات مع خمس عشرة شركة من شركات التليفزيون والاذاعة والصحف والمجلات لكى تقدم «الغطاء» اللازم لعملائها.

وفى ٢٣ مارس ١٩٧٧ أوردت صحيفة نيويورك تايمز عنوانا رئيسيا يقول « كارتر يطلب اعتمادات لتحقيق زيادة كبيرة فى الاذاعة الى الكتلة السوفيتية . » واعترف المقال الذى كتبه دافيد بانيدر أن « راديو أوربا الحرة واذاعة الحرية كانا يعتبران فى أوائل الخمسينات على أنهما من أدوات الحرب الباردة لبذر بذور الشقاق وتشجيع الافكار المناهضة للشيوعية فى الاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية » . وزعم المقال ، دون أن يورد مستندات تؤيد زعمه ، أن روابط وكالة المخابرات المركزية بمحطتى الاذاعة قد قطعت فى عام ١٩٧٣ .

رأس المال المالى :

لم يلق دور البنوك فى السيطرة علىوسائل الاعلام من الاهتمام العـــام سوى قدر ضئيل جدا . فقد اكتشفت لجنتان فرعيتان من لجان مجلس الشيوخ الامريكى ان ٣٤ر٨٪ من أسهم شركة الاذاعة الامريكية « اى بى سى » مملوكه لثمانية بنوك ، وأن ٣٨ر١٪ من الاسهم العامة لشركة اذاعة كولومبيا « سى بى اس » مملوكة لاحد عشر بنكا وان ٢٦ر٩٪ من السندات العـــامة لشركة جنرال تاير آند ربر مملوكة لستة بنوك . وهذه البيانات ترجع الى عام ١٩٧٢ .

وبالاضافة الى ذلك ، لاحظت الدراسات أن لجنة مجلس النواب الفرعية للبنوك والعملة فى دراستها لعام ١٩٦٨ بعنوان **البنوك التجارية ونشاطاتها الاحتكارية : التأثير الجديد على الاقتصاد الامريكى** ، اعتبرت أن امتلاك فئـة معينة لخمسة فى المائة أو أكثر من الاسهم تعد أمرا ذا مغزى بالنسبة للتأثير المحتمل لهذا البنك على شركة بعينها . وأكدت هذه اللجنة انه « حتى ١ أو ٢ فى المائة من الاسهم فى شركة مملوكة للجمهور يمكن أن يكون لها تأثير هائل على سياسات الشركة وعملياتها » .

وفى عام ١٩٧٢ رفعت لجنة المواصلات الاتحادية حدود الملكية بالنسبة للبنوك من ١٪ الى ٥٪ . وتلاحظ اللجان الفرعية بمجلس الشـــــيوخ الامريكى أن اللجنة فعلت ذلك لان كثيرا من البنوك كانت مخالفة لنســـبة الواحد فى المائة التى حددتها اللجنة . ولكى تلتزم البنوك بهذه النســـبة كان يتحتم على تسعة عشر بنكا أن تتخلص من أسهم تبلغ قيمتها ٩٧٦ مليون دولار فى ٢٥ شركة .

لجنة المواصلات الاتحادية :

يقول فيك رينمر رئيس الموظفين بلجنة مجلس الشـــيوخ الفرعيـــة عن التقارير والمحاسبة والادارة ، ان « لجنة المواصلات الاتحادية أغفلت بهدوء فى العام الماضى دراستها التى استغرقت خمس سنوات لانماط الملكيـــة فى شركات الاذاعة » وأن اللجنة « باغلاقها هذه العملية غلفت نتائجها فى رداء من السرية الادارية » .

وقد طالبت لجنة المواطنين القومية للاذاعة بالاطلاع على هذه المعلومات استنادا الى قانون حرية المعلومات ، غير أن لجنة المواصلات الاتحادية لم تنشر الا النذر اليسير .

ومثل هذا الرضوخ المزرى للاحتكارات لايكاد يثير اى دهشة . فقـد لاحظت دراسة أجراها معهد بروكنجز أنه فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٧٠

لم يكن هناك سوى أربعة من أعضاء لجنة المواصلات الاتحادية الثلاثة والثلاثين هم فقط الذين لم يكن لهم انتماء لصناعة المواصلات قبل الحصول على وظائفهم التى تهتم بالتعيين ، وقد حصل ٢١ منهم على وظائف مغرية فى الصناعة بعد انتهاء فترة عملهم فى لجنة المواصلات الاتحادية « ويتضمن هذا العدد الاخير بعض أعضاء اللجنة ممن كانوا على علاقة بصناعة المواصلات قبل تعيينهم فى لجنة المواصلات الاتحادية » .

وعلى سبيل المثال فان جيمس هـ . كويلو عضو لجنة المواصلات الاتحادية الحالى كان لعدة سنوات يعمل مع شركة كابيتال سيتيز برودكاستنج واعتزل العمل وهو نائب لرئيس الشركة فى عام ١٩٧٢ . كما كان أبوت م. ماشبيرن وهو عضو آخر فى لجنة المواصلات الاتحادية حاليا يرتبط ارتباطا وثيقا بحملة وكالة المخابرات المركزية من أجل الحرية .

ثم يأتى الكتاب السنوى للاذاعة لعام ١٩٧٥ ليخطر قراءه بسرور بأن « لجنة المواصلات الاتحادية لاتنظم اعلانات الشركات التجارية الفردية » وأنه « ليست هناك حصة تجارية فى قواعد لجنة المواصلات الاتحادية » ولكن قانون اتحاد المذيعين الوطني يحدد حدا أقصى قدره ١٦ دقيقة فى الساعة . وبعبارة أخرى فان لجنة المواصلات الاتحادية تسمح ببساطة للصناعة أن تكون رقيبة على نفسها فى هذا المجال الحيوى .

الارباح والاحتكار :

ليس غريبا اذن ان ترفل الصناعة فى فيض من الارباح . تقول مجلة بيزنس ديك « عدد ٢١ مارس ١٩٧٧ ص ٧٨ » :

لقد حققت شركات الاذاعة والتليفزيون أداء رائعا دعمه تحقيقها ٩٦٪ زيادة فى الدخل خلال الربع الاخير من السنة . لكن الزيادة فى أرباح الصناعة لكل العام بنسبة أكثر من ٧٠٪ كانت واضحة تماما اذا ماقيست بزيادة الدخل بنسبة ٣٢٠٪ لشركة أمريكان برودكاستنج و ١١٧٪ لشركة مترو ميديا .

وبالنسبة لعام ١٩٧٦ ككل كانت الارباح الخالصة من الضرائب المتاحة لحملة الاسهم كنسبة مئوية هى ٢٠ فى المائة لصناعة الراديو والتليفزيون مقابل ١٤ فى المائة لكل الصناعة فى مجموعها .

وحتى مارتن هـ . سيدن المتحدث المدافع عن الصناعة اضطر لان يعترف أنه فى عام ١٩٧٢ كانت الارباح قبل خصم الضرائب لمحطات الاذاعة

والتليفزيون الخمس التى تملكها كل من شركات ايه بى سى وان بى سى وسى بى اس تبلغ ١٠٢ مليون دولار أى بنسبة ٣٠،١٪ من الـ ٣٣٩ مليون دولار التى « حصلت عليها » كل محطات التليفزيون الاخرى مجتمعة والتى يبلغ عددها ٦٤٨ محطة .

وقد توصلت الدراسات التى أجريت حول ربحية صناعة الراديو والتليفزيون الى أن هذه الهوامش العالية جدا من الربحية ليست طفرة ، بل انها موجودة منذ الخمسينات .

كذلك توصلت دراسة معهد بروكنجز المشار اليها آنفا الى أن :

التليفزيون نشاط مركز تركيزا عاليا . ذلك أن الشبكات الثلاث تصدر نحو ٨٥٪ من برامج فترة المساء و ٦٠ فى المائة من جميع برامج المحطات المنتمية اليها والتى تمثل ٨٧٪ من جميع المحطات وتمتلك كل من الشبكات الثلاث الحد الاقصى القانونى وهو خمس محطات ذات تردد عال .. وهناك ثلاثون فى المائة من محطات التليفزيون تملكها صحف يومية تمثل من الناحية النظرية « ! » منافسة قوية للتليفزيون على الاقل فيما يختص بالاخبار .

ويلاحظ الكاتب المعروف دافيد هالبرستام أن الهدف الوحيد لرئيس شركة سى بى اس بيل بالى هو الارباح ويقول :

فى المرات النادرة عندما كان الاصدقاء يشكون من انواع العروض التى تقدمها شركة سى بى اس كان هو « بيل بالى » يجيب بأن وظيفته هى رفع قيمة أسهم الشركة . وكان يقول لكبار معاونيه فى الاجتماعات العليا انه يريد ١٥٪ زيادة فى الارباح كل عام . وهذا النوع من هامش الربح لايمكن تحقيقه الا بالاقلال من الافلام التسجيلية والتمثيليات التجريبية .. بل انه اعلن امام اجتماع لحملة الاسهم فى عام ١٩٦٥ أن الارباح كان يمكن أن تكون أعلى لولا أن تغطية الاحداث غير المتوقعة مثل رحلات الفضاء ومظاهرات الحقوق المدنية وجنازة ونستون تشرشل كلفت حملة الاسهم ست سنتات للسهم الواحد ... وكانت هذه لحظة صدق تجارى . ومن الواضح أنه كان يخطط للاقلال من الاحداث غير المتوقعة . وبعد عام ارتفعت الارباح الى اكثر من ٦٣ مليون دولار .

وفى معرض الاشارة الى احتكار الاذاعة الضخم . ذكر نيكولاس جونسون العضو السابق بلجنة المواصلات الاتحادية فى كتابه « كيف تتحدث الى جهاز التليفزيون عندك ٠ « اتلانيك مونتلى بريس ، ١٩٧٠ » :

ان القوة السياسية القومية فى ملكية مجموعة من كبرى محطـــات التليفزيون فى نيويورك ولوس انجيلوس وفيلادلفيا وواشنطن على سـبيل المثال أكبر مما يمكن لاية ديمقراطية أن تضعه فى شخص واحد أو شركة واحدة .

ومع ذلك فبالاضافة الى الملكية المباشرة لخمس عشرة محطة اذاعية فان كل ثلاث من كل أربع محطات تليفزيون مرتبطة بالشبكات الكبرى الثـلاث ــ اى بى سى و سى بى اس و ان بى سى .

ولكى تدرك مدى عمق تأثير هذه الحقائق يكفى أن نعلم أن أكثر من ٩٥٪ من جميع منازل الولايات المتحدة لديها أجهزة تليفزيون وهى نسبة أعلى كثيرا من نسبة المنازل التى بها أجهزة صرف صحى داخلية . و ٢٥٪ من هذه المنازل بها أكثر من جهاز واحد . والمنزل المتوسط بدير جهازه على مدى أكثر من ست ساعات فى اليوم . وأثناء فترة المساء المبـــكرة من ٨ الى ١١ مساء يشاهد التليفزيون أكثر من ٧٥ مليون شخص تسعة أعشارهم يشاهدون برامج واحدة من الشبكات الرئيسية الثلاث .

الاحتكار والصحف :

بالنسبة لوسائل الاعلام ككل « وبخاصة الصحف » فان « معظم الاخبار وبرامج الترفيه التى يتلقاها الجمهور الامريكى تنتجها خمس شركات هى : يو بى آى و اى بى و سى بى اس و اى بى سى و ان بى سى .

ويتضح الدور الهائل الذى تلعبه مجموعات الصحف فى مجال الصحافة واليوم تلتهم هذه المجموعات الصحف بمعدل لم يسبق له مثيل « لسبب واحد أساسى هو أنها تدر أموالا » على حد قول نيويورك تايمز بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٧٧ .

ففى العام الماضى تغيرت ملكية ٧٢ صحيفة يومية مقارنة بعدد العـــام السابق الذى كان ٤٩ صحيفة . وكان المشترون الاساسيون هم مجموعات الصحف .

يقول جون مورتون المحلل الصحفي بشركة كـــولين هوشستين ان من الروافد الجذابة بالنسبة لاية صحيفة فيما يتعلق بالمجموعات هو أن تكون « احتكارا فى المنطقة » .

ويضيف هذا المقال الصحفى قائلا :

أن ثلاثا من كل خمس صحف من صحف البلاد البـــالغ عددها ١٧٥٦ صحيفة يومية مملوكة الان للمجموعات . « ومنذ سبع سنوات ومع وجود نفس العدد تقريبا من الصحف اليوميه كان أقل من نصفها مملوكا للمجموعات» وبينما تمتلك بعض المجموعات صحيفتين أو ثلاث صحف فقط فان الاثنتى عشرة مجموعة الكبيرة تمتلك الان ٣٨ فى المائة من الواحد وستين مليـــون صحيفة التى توزع فى الولايات المتحدة كل يوم .

فى عام ١٩٧٢ كانت البنوك تمتلك ٢ر١ فى المائة من الاسهم العـــامة لمجموعة صحف نايت و ٩ر٥ فى المائة من مجموعة ريدر .

وطبقا لما أوردته مجلة اديتور آند بليشور « المحرر والناشر » انخفض عدد الصحف الصباحية والمسائية من ٢٠٤٢ صحيفة عام ١٩٢٠ الى ١٧٧٤ عام ١٩٧٣ . وليس هناك وجود من الناحية العملية لصحف يومية متنافسة .

وفى عام ١٩٧٤ تنبأ السناتور توماس ج . ماكينتاير بأنه طبقا لمعـدل التوسع الحالى فان « جميع الصحف اليومية -- وأقول جميعها -- ستكون مملوكة لمجموعات خلال أقل من عشرين عاما » .

وقد قدر ستيفن ر . بارنيت أستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا أنه فى عام ١٩٧٣ كانت هناك ٩٣ حالة فى نحو ٨٥ مدينة بالولايات المتحدة كـان مالك الصحيفة يمتلك أيضا واحدة أو اثنتين من محطات التليفزيون المحلية .

وذكر اتحاد ناشرى الصحف الامريكيـــة فى عام ١٩٧٠ أن ٩٦ محطـــة تليفزيون و ٣٠٠ محطة اذاعة مملوكة لشركات تدير صحفا فى نفس المنطقة . واليوم فان أكثر من ٢٥ فى المائة من جميع محطات التليفزيون مملوكة لصحف « كانت النسبة المئوية فى الاعوام السابقة أعلى من ذلك ولكن السبب يرجع الى أن محطات التليفزيون كانت أقل كثيرا فى الماضى »

وثمة نقطة هامة حول هذا الاحتكار المتزايد هو أن أسعار الاعلانات التى تتقاضاها محطات التليفزيون والصحف المملوكة ملكية مشتركة أعلى بنسبة تتراوح بين ١٠ و ١٥ فى المائة من أسعار المحطات والصحف التى ليســت محتكرة على هذا النحو . وقد أوضح تقرير قانونى قدمته وزارة العـدل الامريكية أن فرض حظر على الملكية المشتركة سوف يشجع على المزيد من تغطية الانباء بصورة مستقلة .

العنف :

توصلت دراسة أجرتها مؤسسة الفريد أ. دى بون وجامعـــة كولومبيـا

واستمرت لمدة عام الى أن الاذاعة « تبديد بشع لواحد من أهم موارد الامة انها وحش خبيث يستنزف طاقات الامة وينتهك قيمها » .

لقد أصبحت وسائل الاعلام أداة للعنف الامبريالي وأصبحت ممارسة الوحشية على العاملين جزءا لايتجزأ من هذه الترسانة .

ويلاحظ الدكتور جورج جيربنر عميد كلية أننبرج للمواصلات فى جامعة بنسلفانيا ، والذى يقوم بتجميع كتاب سنوى عن العنف فى التليفزيون للمعهد القومى للصحة العقلية ، ان التليفزيون يخلق « جيلا من الخوف » يؤمن بأن العنف موجود فى كل ماحولنا . وقد أوضح كتابه لعام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ أن الذين يشاهدون التليفزيون لفترات طويلة يبالغون فى تقدير عدد رجال البوليس فى الولايات المتحدة والنسبة المئوية للجرائم العنيفة ، ويبدو الخوف فى أسوأ حالاته لدى أولئك الذين يصورون عادة على أنهم ضحايا كالشابات والمسنين والاقليات .

وتؤكد دراسات الدكتور فيكتور كلاين من جامعة يوتاه حقيقة أن العنف فى التليفزيون يجعل شعور المشاهدين يتبلد ازاء المعاناة البشرية . وقد تضمنت احدى تجاربه عرض مشاهد من فيلم « البطل » على مجموعتين من الاولاد ـ احداهما نادرا ماتشاهد التليفزيون والاخرى تشاهده على مدى ٤٢ ساعة أسبوعيا فى المتوسط ، وبالنسبة لهذه المجموعة الثانية فان ضربات قلوب الاولاد وتنفسهم وغير ذلك من مؤشرات الاستجابة العاطفية كانت توضح باستمرار رد فعل أقل بالنسبة للمجموعة التى تشاهد التليفزيون أقل منهم . وقد أوضح ذلك أن الذين يشاهدون التليفزيون لفترات طويلة يتبلد احساسهم تجاه الوحشية .

العنصرية :

تنتشر العنصرية فى وسائل الاعلام . وهنا قد يكون من المفيد أن نورد بعض الامثلة نقلا عن مجلة دليل التليفزيون عدد ٥ ـ ١١ مارس ١٩٧٧ .

فى شهر أغسطس الماضى عجزت وسائل الاعلام عن تغطية اجتماع رابطة المدن القومية فى بوسطون . وقد تحدث هنرى كيسنجر فى الاجتماع حيث استقبله الحاضرون بالسخرية لانه قال ان وزارة الخارجية تجد صعوبة فى العثور على موظفين سود « مؤهلين » . كما كانت أمام الاجتماع أرقام توضح أن نسبة البطالة بين السود فى المدن بلغت ٢٥ فى المائة بينما يتعثر فرض القوانين الفيدرالية عن مناهضة التمييز العنصرى . وكانت محطة سى بى اس هى الوحيدة التى قدمت تغطية رمزية لهذا الاجتماع .

فى ١١ نوفمبر ١٩٧٥ ذكرت لجنة الولايات المتحدة للحقوق المدنية أن

سبع وكالات حكومية لاتطبق قوانين مناهضة التمييز العنصرى ولم تشر أى من الشبكات الى ماتوصلت اليه لجنة الحقوق المدنية .

فى ١٦ ابريل ١٩٧٦ كانت جميع الشبكات تستخدم العبارة المشحونة « ركوب الاوتوبيس الاجبارى » بدلا من عبارة « أوتوبيسات للقضاء على الفصل العنصرى » .

فى ٢٨ مايو ١٩٧٦ . نشرت محطة سى بى اس تقريرا عن الاوتوبيسات المدرسية بدأته بالعبارة التالية : « ربما لم يصدر منذ قرار التحريم قرار دستورى كان أكثر كراهية من جانب الشعب من قرار نقل الاطفال بالاوتوبيسات الى المدارس لاحداث التوازن العنصرى » .

وبعد دقيقتين قال المعلق تشارلس كولنج وود « لقد جاءت مشكلة الاوتوبيسات ، طبقا لاستطلاع الرأى أجراه معهد هاريس على النطاق القومى ، فى المرتبة السابعة والعشرين من بين الموضوعات التسعة والعشرين التى تحظى بأكبر اهتمام من جانب الناخبين فى هذه الانتخابات » . ثم مضى البرنامج ليجرى حديثا مع ١٥ من أهالى بوسطون ممن يعارضون الاوتوبيسات المشتركة ، وخمسة فقط ممن يؤيدونها . وحاول البرنامج أن يغطى على الاراء الاخرى المؤيدة للاوتوبيسات المشتركة مثل ما ذكرته احدى ربات البيوت فى بوسطون من أن مدرستين أو ثلاث مدارس فقط من بين ١٦٢ مدرسة هى التى تثير الاشكالات .

فى ٣ أغسطس ١٩٧٦ قدم برنامج والتر كرونكيت تقريرا مطولا عن مواقف مرشحى الرئاسة من التضخم والبطالة . وكان جميع الخبراء الماليين الذين أجرى الحديث معهم من البيض ولم يذكر ولو مرة واحدة البطالة بين السود التى كانت تصل طبقا لوزارة العمل الى ١٣٫٩ فى المائة .

ثمة امر آخر هو أن جميع ادارات الشبكات تتكون من البيض وحدهم .

وقد القى كارلتون ب . جودلت ، رئيس التحرير الاستشارى لمجلة بلاك سكولار ورئيس الاتحاد الوطنى لناشرى الصحف وناشر صحف سان فرانسيسكو من ريبورتر ومجموعة صحف مترو ريبورتر ، خطابا فى المؤتمر السنوى لاتحاد تعليم الصحافة فى ٢١ أغسطس ١٩٧٤ بداه بالملاحظات التالية :

لقد أتينا الى هنا لا لكى نمتدح وسائل الاعلام أو ندفنها بل لكى نكشف فى الوقت القصير المسموح به أقدامها المصنوعة من الفخار وتآمرها خلال المائة وأحد عشر عاما الماضية منذ التحرير ضد تطلعات نحو خمسين مليونا من الاقليات العنصرية وبخاصة خمسة وعشرين مليون أسود يقيمون فى

أمريكا العنصرية ولازالوا حتى اليوم يبحثون عن صوت لهم .

ويرى جودلت أن « وسائل الاعلام المطبوعة أى الصحف اليومية الامريكية هى أشد وسائل الاعلام عنصرية » . ويستشهد على ذلك بالنتـــائج التى توصلت اليها دراسة قام بها ناشرو الصحف الامريكية وجاء فيها أن السود يمثلون ٩ر٣ فى المائة فقط من مجموع العاملين فى وسائل الاعـــلام ــ الاذاعة والتليفزيون ــ و ٩ر١ فى المائة من العاملين فى صناعة الصـــحف « مع استثناء الصحافة السوداء » .

وتؤثر العنصرية فى وسائل الاعلام ، وبخاصة التليفزيون ، تأثيرا قاسيا على السود . فقد جاء فى دراسة للكونجرس عام ١٩٧٢ أن متوسط مشاهدة السود للتليفزيون ٢٥ ساعة أسبوعيا أى أكثر من مشاهدة البيض له بتسع ساعات . « السود فى وسائل الاعلام » تقارير الابحاث التحـــريرية ١٦ اغسطس ١٩٧٢ . وقد جاء فى الصفحة الاولى من هذا التقرير أن : « حق الاستخدام المباشر للمواد المتضمنة فى تقارير الابحاث التحريرية مقصـــور تماما على عملاء الهيئة من الصحف والمجلات والاذاعة والتليفزيون . اما اذا رغب غيرهم فى الاستفادة من التقارير لغير الاغراض الاكاديمية فعليهم أن يحصلوا على ترخيص كتابى بذلك » .

كذلك يصور النساء بصورة مهينة فى التليفزيون كما ورد فى مقـــــال لمجلة ساترداى ريفيو بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٥ اذ قالت :

لا يحتاج المرء لان يكون من أنصار المراة لكى بشعر بالاشمئزاز من معاملة التليفزيون المهينة للنساء .. فالنساء غالبا ما يصورون على أنهن أدوات ترفيه او بطلات يتسمن بالجنون لمواقف كوميدية . وفى الاعلانات التجارية غالبا ما يظهرن على أنهن دمى يتعلقن بأزواجهن أو مانكيانات تافهات . وهـــذه شكوى ليست جديدة . ذلك أن الاستعراض الذى جرى فى عام ١٩٧٢ . ونشرته مجلة جورنال أوف برود كاستنج حلل ٩٨٦ من الاعلانات التجارية فى فترة المساء المبكرة وخلص منها الى أن النساء نادرا مايظهرن الا على أنهن ربات بيوت أو شخصيات غير متزنة .

التشويه السياسى :

تعمل وسائل الاعلام على تشويه الاحداث لكى تلائم مصلحة الامبريالية يسجل دافيد هاليز ستام محاولة وسائل الاعلام للتغطية على حـــدث هائل مثل حادث ووترجيت فيقول : « كانت ووترجيت قصة محكومة ، سرية أكثر منها علنية » .

وفيما يتعلق ببرامج مكتب التحقيقات الفيدرالى يجد دافيد و . رنتلز وهو كاتب تليفزيونى ورئيس لجنة الرقابة باتحاد كتاب أمريكا ، انه بالنسبة لبرنامج « مكتب التحقيقات الفيدرالى »

« لم يحدث ان كان هناك برنامج عن أى جانب من جوانب انتهاك الحقوق المدنية لاية أقلية ، ولم يصور أحد عملاء المكتب وهو يضع أجهزة التسجيل فى أحد المنازل أو يتصنت على تليفون أو يرشو مخبرا أجيرا ، كما لايسمح لاى كاتب بأن يشير الى وقوع هذه الاعمال » .

وبنفس الطريقة عولجت الفظائع التى ارتكبت فى حرب فيتنام . والمثال على ذلك « وهناك بالطبع كثير من الامثلة يمكن الاستشهاد بها » احجام جميع شبكات التليفزيون احجاما تاما عن تغطية تعبئة ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ المناهضة للحرب فى واشنطن والمظاهرات من أجل السلام بصفة عامة — وقد عكس ذلك نجاح محاولات نيكسون — أجينو للحد من تغطية الانباء وفرض الرقابة عليها .

الحزب الشيوعى :

لم تكن التعمية فى أى مجال أوقح منها فى مجال معالجة وسائل الاعلام للحزب الشيوعى والحركة التقدمية . ومن الوسائل الفعالة فى هذا الصدد الارتفاع الباهظ فى تكلفة البرامج التليفزيونية . ففى عام ١٩٧٣ تراوحت تكلفة انتاج « دخان البندقية » أو « كولومبو » أو « ماركوس ويلبى » بين مائتين ومائتين وخمسة وعشرين ألف دولار ، ولم تكن هذه أعلى برامج التليفزيون تكلفة .

وفى عامى ١٩٧١ و ١٩٧٢ كان شراء دقيقتين ونصف دقيقة — الاعلانات فى برامج شعبية مثل « دخان البندقية » و « العجوزان » لموسم استمر أكثر من ١٣ أسبوعا يتكلف بسهولة مايزيد على مليون دولار . وكانت تكلفة اعلان لمدة ثلاثين ثانية تتراوح بين ١٧ ألف دولار فى الصيف و ٦٤ ألف دولار فى الشتاء .

واليوم تتكلف دقيقة واحدة من الاعلان فى وقت المساء المبكر مايصل الى مائة ألف دولار .

وعلى الرغم من الرأى القانونى المعاكس ، بما فى ذلك مبدأ العدالة والمادة الخاصة بتكافؤ الفرص من القسم ٣١٥ من قانون المواصلات لعام ١٩٣٤ ، فان الحزب الشيوعى محروم من النفاذ الى وسائل الاعلام .

التعديل الاول :

قام جيرومى ا . بارون ، أستاذ القانون بجامعة جورج واشنطن ، بعمل

رائد عندما طرح أمام المحاكم قضية حرية الوصول الى وسائل الاعلام على أساس التعديل الاول .

وقد ذكر البروفيسور بارون أن ماورد فى التعديل الاول من ضمانات لحرية الخطابة والصحافة تصبح مجردة من المعنى فى عصر وسائل الاعلام الجماهيرية ما لم يكن هناك منفذ للجمهور الى « المحطات الكبرى للرأى العام وهى الاذاعة والتليفزيون والصحافة » . لكن بارون يقول انه نظراً للتغيرات التكنولوجية غير العادية التى حدثت فى مجال الاتصالات فقد أصبحت ملكية الصحف – وماينجم عن ذلك من تحكم فى المادة التى تختارها للنشر أو الاذاعة – مقصورة على عدد صغير جدا من الافراد الاثرياء . وقد سمى بارون هذا الرقابة فردية التى لاتقل احباطا لحرية تدفق الافكار عن الرقابة الحكومية .

فى عدد يونيو ١٩٦٧ من « مجلة هارفارد للقانون » كتب بارون يقول :

« ان المطلوب هو تفسير للتعديل الاول يركز على فكرة أن كف يد الحكومة يصبح لا معنى له على الاطلاق فى ضمان حرية الحديث اذا فرضت قيود على الوصول الى وسائل الاعلام بواسطة المجموعات الخاصة . ان الحظر الدستورى على فرض قيود حكومية على حرية التعبير تصبح غير فعالة مالم يضمن الدستور فرصة متكافئة للنقاش . ولما كانت هذه الفرصة لا توجد الا فى وسائل الاعلام فان مصالح أولئك الذين يسيطرون على وسائل الاتصال الجماهيرى لابد وأن تتوافق مع مصالح أولئك الذين يبحثون عن منبر يعبرون فيه عن وجهة نظرهم » .

وفى صيف عام ١٩٧٠ أعد بارون مشروع قانون بشأن حق الوصول الى وسائل الإعلام قدمه الى مجلس النواب النائب ميشيل فيفان بوصفه قانون حماية الحقيقة . غير أن هذا المشروع لم يطرح للتصويت مطلقا .

ان هذا المقال لم يتناول سوى مجموعة مختارة ، وليست بحال من الاحوال شاملة ، من المشكلات التى تتعلق بالسيطرة الرأسمالية الاحتكارية على وسائل الاعلام . ومع ذلك فاننا نرجو أن نكون قد أوضحنا ضرورة وامكانية الوقوف فى وجه هذه السيطرة . ان الحل الكامل لهذه المشكلة يتطلب ملكية وتشغيل وسائل الاعلام بصورة ديمقراطية عامة ، وهو فى نهاية الامر يتطلب تحقيق الاشتراكية .

ويقع على عاتق الصحافة الشيوعية واليسارية والنقابية والسوداء دور كبير سواء فى الحاضر أو المستقبل فى الكفاح من أجل مقرطة وسائل الاعلام . لكن هذا الموضوع يخرج عن نطاق هذا المقال .

●



الموقف من معاهدة بنما

بقلم : روبن داريوسوزا

احدث توقيع المعاهدات حول مستقبل قناة بنما فى سبتمبر ١٩٧٧ أصداء دولية متباينة وتناقضت التقارير حول نتائج المحادثات فى جولتها الختامية . فبينما لقيت المعاهدات الجديدة معارضـــة عنيفة من جانب الدوائر الاكثر رجعية فى الولايات المتحدة ، فانها لقيت التأييد من جانب الرئيس كارتر . وبينما شهد مراسم توقيع المعاهدات فى واشنطن الرئيس ((كارلوس اندريز بيريز)) من فنزويلا والكتاب الكولومبى الشهير ((جابرييل جارسيا ماركيز)) من ناحية، فقد شهدها من الناحية الاخرى القاتل :بينوشيت)) والحاكم المستبد لجواتيمالا ((أوجيرود))، وبينما أيدت المعاهدات كوبا و فيتنام وجمهورية كوريا الديموقراطية فانها تعرضت لهجمات مباشرة من جانب اليســـارين الذين ادعوا أن المعاهدات ماهى الا نوع من أنواع التسليم . وقد أدى هذا كله وغيره الى توجيه الاهتمام لنتائج المفاوضات المطولة بين بنما والولايات المتحدة . وفى هذه الظروف المعقدة حظى الاستفتاء الوطنى الذى أجرى فى بنما فى ٢٣ أكتبر ١٩٧٧ والذى صوت فيه الغالبية العظمى من شـــعبنا الى جانب المعاهدات الجديدة باهتمام بالغ .

وقد أثار توقيع المعاهدات السؤال التالى : من هو الجانب الذى كسب أكثر من هذه المعاهدات ؟ • ولكى نجيب على هذا السؤال لابد لنا أن نتذكر ما الذى كان يعنيه الامتلاك الدائم للولايات المتحدة لقناة بنما لكل جانب من الجانبين •

تقع منطقة القناة « ١٤٣٢ر١ كم٢ » تحت السيطرة العسكرية ـ الاقتصادية الامريكية (١) ، وهى تتوسط أراضى جمهورية بنما • ويعنى هذا أن شعب بنما محروم من الاستقلال الكامل . ويشكل وجودهذه المستعمرةأحدالاسباب الرئيسية للعداء بين شعب بنما الذى يحاول بكل قوته ممارسة حقه فى تقرير المصير والامبريالية الامريكية • ويعتبر الوطنيون فى بنما أن منطقة القناة تمثل العائق الاخير فى طريق وحدة أراضى البلاد ووحدتها السياسية •

أما بالنسبة لحكومة الولايات المتحدة التى تمثل مصـــالح الاحتكارات فان منطقة القناة تعتبر وســـيلة للتحكم فى مرور الســـفن بين المحيط الباسفيكى والاطلنطى • وقد مكنت ملكية القناة الولايات المتحـــدة من توسيع تجـارتها الخارجية وتقريب المسافة بين انتاجها القومى ومصادر المواد الخام فى البلدان التابعة والاسراع بدورة السلع الامريكية فى السوق الدولية • والى جانب هذا تمكنت الولايات المتحدة بواسطة ملكيتها لمنطقة القناة من الســيطرة على قسم كبير من المواصلات بين المحيطين وادخال هـــذا الموقع الاستراتيجى فى اطار المخططات العسكرية للامبريالية الامريكية على النطاق العـــالمى والمحافظة على قبضتها القوية فى أمريكا اللاتينية •

وفى المحادثات التى بدأت بعد الهبة الشعبية فى ٩ يناير ١٩٦٤ والتى انتهت بعد ١٣ عاما كان تعارض المصالح بين شعب بنما والامبريالية الامريـكية هى القضية الاساسية والجوهر •

وفى ظل المعاهدات الجديدة تمتلك جمهورية بنما منطقة القناة • وبكلمات أخرى فان الولايات المتحدة قد اضطرت الى الاعتراف بســيادة دولة بنما على القناة • ولكن نستطيع أن ندرك الاهمية الكاملة للوضع الحالى لمنطقة القنـــاة كما تحدده معاهدة ١٩٠٣ ، فان هذه المعاهدة تعطى للحكومة الامريكية سلطات « ممتدة » على المنطقة الملحقة بالقناة ترقى الى مستوى السيادة عليها •• وبكلمات أخرى تحتفظ الولايات المتحدة بالسيادة القانونية والتشريعية على هذه المستعمرة التى أصبح وجودها فى قلب بنما عائقا فى طريق تطورها •

واذا وضعنا فى الاعتبار ان الولايات المتحدة قد وافقت على تصفية هذا الكيان

---

(١) وفقا لمعاهدة ١٨ نوفمبر ١٩٠٣ التى فرضت على بنما حصلت الولايات المتحدة على حق بناء وتشغيل القناة فى منطقة تبلغ مساحتها ١٦ كم تمر بجميع أراضى بنما ، وكذلك استخدام قواتها المسلحة لحماية القناة ومنشاتها •

الاستعماري فانه يتضح بما لايدع مجالا للشك بأن المعاهدات تخدم مصالح الشعب في بنما وتفتح الطريق أمام عملية اكمال التوحيد السياسي ووحدة أراضي بنما ٠ ومع ذلك لايمكن اعتبار هذا النجاح نجاحا كاملا ٠ ومن ثم فان النضال لتحرير بنما الذي ابتدأ منذ سنوات طويلة لابد من مواصلته حتى النهاية ٠ فبينما يؤدي تصفية هذه المستعمرة الى استعادة الوحدة التاريخية لاراضي بنما الا أن هذا الوضع الجديد لايرقى الى مستوى الاستقلال الوطني الكامل وذلك يرجع الى استمرار البلاد هدفا للاستغلال الاقتصادي للاحتكارات الامريكية التي لاتزال تنهب الموراد الطبيعية للبلاد ٠

والى جانب هذا فان انهاء وضعهذه المستعمرة لن يتمفورا ٠ فوفقا للمعاهدات الجديدة فانه يتعين علينا أن ننتظر ٢٣ عاما آخر « حتى عام ١٩٩٩ » لكي نمتلك القناة التي سيتم نقلها الى بنما ، ولكي يترك أرضنا آخر جندي أجنبي ٠ وهكذا فانه بالرغم من أن المعاهدات الجديدة تغير على الفور من وضع منطقة القناة الا أن القناة نفسها ستظل ملكا للولايات المتحدة وستتم ادارتها بواسطة مايسمى ب « لجنة القناة » ٠ وفضلا عن ذلك ، فان الولايات المتحدة وقواتها المسلحة ستظل تحتفظ ب ٥ قواعد عسكرية من بين ال ١٤ قاعدة الموجودة الان في منطقة القناة حتى نهاية هذا القرن ٠ وعندما يبدأ سريان المعاهدات ستحصل حكومة بنما على ملكية ٧٠٪ من مساحة « منطقةالقناة »وستحصلعلىالسيادة التشريعية والقانونية على المنطقة بكاملها في خلال السنوات الخمس التالية ٠ ولكن حتى في هذه الحالة فان «لجنة القناة» ستحتفظ لنفسها ببعضالصلاحيات التشريعية والقانونية على ممتلكات القناة والامريكيين العاملين في هذا الممر المائي ٠

وتحد « المعاهد » المبرمة حول « الحياد » من حق شعب بنما في اعلان حياد القناة ، وهو قيد لاشك من آثار العصر الاستعماري ٠ وقد سعت الحكومة الامريكية الى تضمين المعاهدة فقرة تنص على دورها « كشريك ضامن » ٠ وحق الولايات المتحدة في حرية الملاحة في القناة فيما يتعلق بسفنها الحربية والسفن المساعدة ٠ ويبدو واضحا أن هذه الفقرة تتناقض مع المعاهدة التي تقرر الغاء ملكية الولايات المتحدة للقناة ٠

ولا يعني الاتفاق الذي توصلت اليه حكومتي الولايات المتحدة وبنما تضعيف المستعمرة بل النزع التدريجي لسلاحها ٠ وهذا هو الاسلوب الذي يستخدمه الامبرياليون في التخلي عن الاشكال البالية في العلاقات مع البلدان المقهورة واحلالها بأشكال أخرى أكثر تقبلا فيالظروفالحالية بينما لاتنالمنمصالحها الاساسية ٠ وعلى ذلك سيكون من الخطأ اعتبار توقيع المعاهدات الجديدة مناورة داهية من جانب الامبريالية الامريكية وليس انتصارا لشعب بنما ٠

لاشك أن تصفية « منطقة القناة » يؤثر على مصالح الاحتكارات الامريكية التي وطدت جذورها في هذه المستعمرة والتي استنامت الى هذا الوضع لدرجة أن

فكرة حدوث أى تغيير فى وضعها هذا لم تعد تخطر لها على بال أحد اطلاقا . ومنذ سنوات قليلة لم يكن من المتصور أن توافق الحكومة الامريكية على التخلى عن معاهدة ١٩٠٣ واحلال معاهدة جديدة تلغى المادة التى تنص على ملكيتها للمستعمرة . ومن ثم فان اضطرار الولايات المتحدة الى التفاوض مع حكومة بنما انتصارا لبنما وتتويجا للهبة الشعبية ضد الجيش الامريكى فى يناير عام ١٩٦٤ .

وعلى مدار سنوات عشر من المفاوضات اقترحت الولايات ثلاث مشاريع معاهدات مليئة بالقيود تم رفضها بفضل مقاومة شعب بنما والموقف الحازم الذى اتخذته الحكومة الوطنية للجنرال « عمر توريجوس » . واستؤنفت المفاوضات فى عام ١٩٧٤ ولكن على أسس جديدة . ولاول مرة وافقت الحكومة الامريكية على مناقشة المطلب الاساسى لبنما : عودة « منطقة القناة» والقناة نفسها لجمهورية بنما المالك الحقيقى . وبعتبر هذا مكسبا آخر حصلت عليه بنما بابرام المعاهدات فى عام ١٩٧٧ .

والحقيقة أن المعاهدات الجديدة رغم أنها لم تضع حدا نهائيا للقهر الا أن ابرامها سيساعد بصورة فعالة الشعب فى بنما على مواصلة نضاله من أجل الاستقلال الكامل . ولهذا يرمز هذا النصر الاستراتيجى لنا الى الهزيمة الاستراتيجية للامبريالية رغم الطابع الاستعمارى الجديد الذى حاولت الولايات المتحدة اضفائه على المعاهدات الجديدة . والحقيقة التاريخية التى لامراء فيها أن المستعمرة الموجودة فى « منطقة القناة » سائرة الى الزوال ، وأننا نتحرك قدما نحو اكمال عملية التحرر الوطنى فى بنما رغم العقبات الكبيرة التى مازالت تنتظرنا .

اننا نعيش فى عصر انهيار الامبريالية . وتزداد مراكزها ضعفا بعد أن تلقت الهزيمة الاستراتيجية تلو الهزيمة فى أجزاء عديدة من العالم ويشهد على ذلك تفسخ النظام الاستعمارى .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المجال الى أن المصاعب التى تواجهها الامبريالية الان لاتنبع فقط من أزمتها الداخلية التى تنخر فى كيانها ولكنها نابعة أيضا من الضربات الساحقة للقوى التقدمية التى تزداد قوة فى جميع أنحاء العالم والتى تحفزها فى المحل الاول أسرة البلدان الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتى وثورة أكتوبر العظمى التى أنارت الطريق أمام النضال المظفر التحريرى الوطنى والاجتماعى . وتلعب الحركة الثورية العالمية وكافة القوى المعادية للامبريالية على سطح الكرة الارضية الدور الاساسى فى اضعاف مراكز الامبريالية . فلم تعد للامبريالية فى الظروف التاريخية الجديدة أية أرض صلبة تقف عليها ، بل تحولت هذه الارض الى مايشبه الرمال المتحركة .

وأصبحت الامبريالية تواجه الثورات فى مختلف القارات · ولم تعد أمريكا اللاتينية تلك الضيعة الطيعة والسهلة القياد التى يمكنها الاعتماد عليها · ويشهد هذا الجزء من الكرة الارضية حركات تحرر وطنى وتحركات اجتماعية تناهض جشع وقهر الاحتكارات الامريكية ·

وعلى المرء أن يقيم عملية تصفية « منطقة القناة » فى اطار هذا الوضع التاريخى ، وأن الحركة القوية المعادية للاستعمار فى بلادنا التى ضمت الغالبية الساحقة من الشعب مع الحكومة قد أجبرت الولايات المتحدة على الموافقة على انهاء وضع هذه المستعمرة وخاصة بعد الهزائم الكبيرة التى منيت بها تلك القوى التى تسعى الى حماية مصالحها بالوسائل الاستعمارية ، وهى بالتحديد تلك القوى التى عارضت السلام فى فيتنام والتى خططت لقلب حكومة « الليندى » فى شيلى ، وأيدت الجرائم المشينة للمخابرات المركزية ونسفت مفاهيم هلسنكى حول الانفراج والتى تشجع التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا والصهيونية فى الشرق الاوسط والتى تصر على فرض الحصار على كوبا · لقد ضربت هذه القوى بواسطة فضيحة ووترجيت والتحقيقات فى سلوك الرئيس السابق نيكسون ونائبه آجنيو ثم استقالتهما فى اثر ذلك · وقد أصاب كل هذا هيبة الحكومة والمؤسسات السياسية بضرر خطير · وقد عانت نفس هذه القوى من الهزيمة فى انتخابات الرئاسة الاخيرة بالولايات المتحدة · وأدت أيضا هذه الهزيمة الى انهيار فكرة الحفاظ على الحكم الاستعمارى على « منطقة القناة » ·

ويعكس موقف كارتر من قضية « منطقة القناة » الاتجاه الواقعى لبعض الدوائر الامريكية ازاء المشاكل التى تسبب الصراع العدائى فى عالم اليوم · وترى هذه الدوائر منطقية الاتفاق الذى أبرم مع الجنرال توريجوس : فلم تعد الولايات المتحدة قادرة على فرض وجود هذه المستعمرة علينا ولكنها لاتستطيع أن تتخلى أيضا عن مصالحها الاساسية فى بنما (١)

أما بالنسبة لبنما فقد استقبل الاتفاق حول تصفية الوضع الاستعمارى « لمنطقة القناة » بالرضاء من قبل الاغلبية الواسعة فى البلاد وحظيت بالتأييد الشعبى الحقيقى ·

---

(١) وفقا لما أوردته التقارير الصحفية فانه قد تم اكتشاف مؤامرة معادية للحكومة بواسطة أجهزة الامن فى البلاد · وكانت المؤامرة تستهدف قتل « عمر توريجوس » رئيس الحكومة · واظهرت التحقيقات أن المؤامرة قد تم التخطيط لها من قبل المخابرات المركزية فى ميامى · وكانت المؤامرة تتلخص فى الاعتداء عليه اثناء احد جولاته فى البلاد · وكان فريق المتآمرين يضم ف· فيورينى احد عملاء المخابرات المركزية ، و ل· مارتينز احد الضباط الامريكيين فى منطقة قناة بنما واخوه ب· مارتينز ، و ا· آرياس الرئيس السابق ، ومجموعة من الكوبيين المناهضين للثورة فى الفرقة رقم ٢٥٠٦ والذين تلقوا تدريبا خاصا فى الولايات المتحدة على القيام بعمليات تخريبية وارهابية ــ المحرر ·

وقد تميزت السنوات القليلة الماضية بتحرك حكومة توريجوس نحو اتخاذ خطوات تقدمية متواصلة . فبالاضافة الى تحركات الحكومة فى مضمار النضال المعادى للاستعمار ، فانها أدخلت تحولات هامة فى البلاد . ويشهد على الاتجاه الواضح للحكومة لاتخاذ موقف راديكالى معادى للامبريالية والاقدام على تحولات اجتماعية عميقة التحولات الديموقراطية فى الهيكل الزراعى ، مساندة التعاونيات انشاء وتطوير قطاع حكومى . التأميمات رغم دفع التعويضات للاحتكارات الامريكية ، التدابير الهامة فى مجال الصحة العامة والتعليم ، السياسة الخارجية الهادفة الى العمل المشترك مع العالم الثالث وعلاقات أوثق مع البلدان الاشتراكية ، والوقوف بحزم بجانب السلام ، وكذلك النضال ضد التمييز العنصرى .

ومن ثم فان عملية تخليص بلادنا من الاستعمار مرتبطة بالتطور السياسى فى الداخل والذى يتميز بالراديكالية فى النضال الوطنى التحريرى .

وبكلمات أخرى فان نجاحات البلاد المرتبطة بالمعاهدات الجديدة تخدم الاتجاهات المعادية للامبريالية لحكومة توريجوس وجميع القوى التقدمية والثورية التى تساندها فى تنفيذ البرنامج الوطنى ـ الديموقراطى .

وتمثل الثروة التى ستعود الى البلاد باسترداد « منطقة القناة » أهمية كبرى لمستقبل التطور فى البلاد ، فهى تقدر بعدة بلايين من الدولارات . فاذا تحولت هذه الثروة ، بما فيها الاراضى ، الى ملكية الدولة فان هذا سيخلق الاساس الحاسم لتطوير بنما فى الطريق الرأسمالى . ولاشك أن هذا أحد أهداف النضال فى المستقبل القريب .

وبلا جدال فان هذا يتطلب من القوى المعادية للامبريالية فى بنما أن ترتقى بمستوى نضالهم السياسى والتنظيمى الى مستوى كيفى أعلى حتى تستطيع انجاز المهام المطروحة أمامها : احباط محاولات الاستعمار الجديد فى التغلغل وتوسع الرأسمالية المحلية ، والعمل من أجل التحرر الوطنى الكامل . ولتحقيق هذا فان الامر يتطلب توسيع وتقوية السلطة الشعبية ، ومواصلة سياسة حازمة لتحويل ملكية قناة بنما الى الدولة ، واصدار قانون يقنن التغيرات فى الهيكل

الزراعى ، وتعميق برنامج التحولات الاجتماعية • أما فى المجال الدولى فتبرز الحاجة الى تقوية صلاتنا بالبلدان الاشتراكية وتطوير علاقاتنا مع بلدان العالم الثالث التقدمية • أما فى مجال تمويل الاقتصاد فتبرز الحاجة الى انهاء «الوصاية» الامريكية •

ويمكن للبلاد أن تتطور فى هذا المسار اذا تسلحت حركة التحرر الوطنى الحالية فى بنما ببرنامج صريح للتحرر الوطنى • وقد أصبحت الظروف ناضجة لتكوين أحزاب سياسية تمثل الاتجاهات الاساسية المعادية للامبريالية والتى تشارك فى عملية تخليص البلاد من الاستعمار • « ولا يعنى هذا على الاطلاق احياء أحزاب الاوليجاركية القديمة واعادة المراكز الاوليجاركية السابقة » •

وفى وسع هذه الاحزاب أن تكون الاساس لتشكيل جبهة سياسية معـادية للامبريالية ذات برنامج متكامل لتحقيق التحرر الوطنى واقامة سلطة شعبية حقة تكون مهمتها تحقيق التحرير الكامل للبلاد والقضاء السريع على بقايا الحكم الامبريالى التى سيستمر وجودها فى ظل المعاهدات الجديدة •

ومما لا جدال فيه ، أن النضال للتحرر الكامل سيستمر حتى بعد القضاء على الوضع الاستعمارى فى « منطقة القناة » •

●

التعليم العالى في ظل الاشتراكية

بقلم : يادا مى لهامسورين
كارلوس اناڤيتاريتا
ڤيتالى موييف

● الرسالة الاولى :

لا تستطيع الجامعات اليوم أن تشكو من قلة الحديث عنها ، وان كان أكثر ما ينشر منها كتابات انتقادية • ففى مدن العالم الرأسمالية الرئيسية حيث أسست الكليات الاولى منذ ثمانمائة أو تسعمائة عام ، كثيرا ما تجد الجامعات نفسها تحت النيران من كلا الجانبين • فاليمين يتهمها بخيانة التقاليد القديمة ، وتقويض النظام القائم ، واثارة الاضطراب والتمرد الطلابى الواسع ، فى حين يتهمها اليسار بأنها متخلفة عن الزمن ، وأنها تقاوم الاصلاح الديمقراطى • ولبلدان العالم الاشتراكى أيضا قضاياها ومتاعبها فى مجال التعليم العالى ، وان تكن من نوع مختلف •

وقد أثارت هذه الخلفية اهتمامنا بأداء المهمة التى كلفتنا بها مجلة قضايا السلم والاشتراكية لدراسة التعليم العالى فى ثلاث بلدان اشتراكية هى : بلغاريا ورومانيا وبولندا • وكان على الدراسة التى نقوم بها أن تشمل سياسة الاحزاب الشقيقة فى هذا المجال ، والقضايا والاتجاهات الراهنة ، وأية تجارب بدأت هناك • وكانت لكل منا صلة بالتعليم العالى فى هذا الوقت أو ذاك • فأحدنا عمل فى ادارة التعليم العالى فى منغوليا ، وعمل الآخر أستاذا طيلة ثلاثين عاما ، وترأس قسما جامعيا فى بيرو ، ودرس الثالث فى جامعة موسكو • وقد حاولنا أن نستخدم هذه المعرفة السابقة ، وأن نكتشف أيضا شيئا جديدا •

ان البلدان الاشتراكية تأخذ التعليم العالى مأخذ الجد ، فتطوره مخطط• ويجرى قدر كبير من البحث فيما يتعلق باحتياجاته وقضاياه • ونستطيع أن نرى هذا من المساحة الواسعة التى تخصص له فى الصحف العامة والمتخصصة• وقد استخدمنا هذه المادة أيضا • ومن هنا فان دراستنا لا تزعم لنفسها الاصالة والابتكار ، فكل ما حاولنا أن نفعله هو أن نعرض بعض انطباعاتنا المباشرة عن وضع التعليم العالى فى البلدان الاشتراكية ، وأن نصور حياة المدارس العليا وحركتها بأوضح ما يمكن •

● أهو مأزق ؟

بدأنا بزيارة لصوفيا ، ومن هنا يبدأ تقريرنا ، وبخاصة لان النقطة التى بدأنا منها كانت هى ـ حرفيا تقريبا ـ درجات سلم جامعة صوفيا •

والشباب ـ وبخاصة الطلاب ـ متعجلون عادة ، ان شعورهم تتطاير خلفهم، وحقائبهم فوق أكتافهم ، ولوحاتهم تحت أذرعتهم ، وهم يندفعون ـ شبابا وفتيات ـ فوق سلم الجامعة الرئيسى الذى يتسع كالمروحة فوق مفترق طرق مزدحم • وكانت تلك هى النقطة التى استرعت انتباهنا •• ان المروحة تضيق عند القمة ، ففى صيف عام ١٩٧٦ تقدم ٦٥٠٠ للقبول فى الجامعة ، ولكن بعد امتحانات القبول لم يعبر الباب الذى يعلو السلم سوى ١٨٠٠ طالب •

المنافسة ! ان أيام امتحانات القبول فى الصيف فترة خلق للشباب وعائلاتهم وللمسئولين عن التعليم فى البلدان التى زرناها •

وفى الساعة الثامنة تماما صباح اليوم الاول يفتح مظروف مغلق بالشمع الاحمر أمام لجنة للدولة ، ويقوم واحد ممن يؤدون الامتحان بسحب مجموعة

من الاسئلة التى يحويها المظروف ليكون على كل المتقدمين للامتحان فى هذا اليوم أن يجيبوا عنها . وتعلن الاسئلة بالمذياع حتى تصل الى مراكز الامتحان الاخرى .

ووصف الدكتور ت. خريستوف نائب مدير جامعة صوفيا العملية بأسرها، وكان فى وسعنا أن نتصور مدى توتر هذه الساعات الاربع فى قاعات الامتحان الهادئة قبل أن يجمع المراقبون المظاريف المغلقة (وتظل كل أوراق الاجابة بدون اسم) وقبل أن يراجع كل ورقة على حدة اثنان أو ثلاثة من المتخصصين، وتقدر الدرجات ، تم ترفع الستارة أخيرا بالسعادة للبعض وخيبة الامل للبعض الآخر .

ماذا يمكن أن نستخلص من هذا كله ؟ ربما لم يكن نظام التعليم العالى فى البلدان الاشتراكية كافيا ؟ ربما كان يواجه مأزقا ؟ هذا ما تشير اليه دائما الدعاية البرجوازية فى الوقت الذى تغدق فيه المديح على نظام التعليم العالى لديها لطابعه « المفتوح » و « الديمقراطى » . لكن واحدا على الاقل كان يعرف القيمة الحقيقية لهذه المزاعم من خبرته الذاتية ، انها مزاعم لا تثبت أمام أى اختبار جدى .

فمن الحقائق المعروفة أن كثيرا من الجامعات خارج العالم الاشتراكى لا تجرى امتحانات قبول . ومن الناحية الرسمية يستطيع أى شخص أن يلتحق بها ، ولكن كثيرا ماتكون الرسوم العالية هى العامل الحاسم ، الأمر الذى يعنى أن القبول لا يتوقف على نوعية التدريب الذى تلقاه فى المدرسة ، ولا على قدرته وانما على الدخل فى المقام الاول . فأية ديمقراطية ، وأية مساواة اجتماعية يمكن أن توجد فى مثل هذه الظروف ؟

وتبين احصاءات العالم الرأسمالى انخفاضا ملحوظا فى عدد من يحاولون الالتحاق بالتعليم العالى ، فقد انخفض عدد التلاميذ الامريكيين الذين يدخلون الجامعات من ٦٣٪ فى عام ١٩٦٧ الى ٤٩٪ عام ١٩٧٤ . ولا عجب فى ذلك ، فالشباب يفكرون فى مستقبلهم ، وما يثير قلقهم ليس المنافسة على القبول وانما المنافسة الحقيقية التى تبدأ بعد ذلك ، حين يبدأ الخريجون البحث عن عمل فى المهنة التى اختاروها ، ولا يكون أمام الكثير منهم خيار الانضمام الى صفوف « المتعلمين العاطلين » . وتبين الانباء التى تنشرها الصحف أن هذه مسألة حادة . وقد أوجزها طلاب كلية للمعلمين فى جلاسجو حين كتبوا فوق جدران مبنى كليتهم « كلية جوردانهيل للعاطلين » . وتشير التقريرات الى أن

خمسة من الخريجين سيتنافسون على كل فرصة عمل تتطلب تعليما عاليا فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ، فلا عجب أن يتحدث الناس عن الدرجة الجامعية فى هذه الايام وكأنها ورقة يانصيب مرتفعة الثمن ٠

أما فى ظروف الاشتراكية فالتعليم العالى يقوم على أسس مختلفة ٠ ولديهم بالطبع قضاياهم الخاصة الكثيرة ـ ونأمل أن نحدث القارىء عنها فى هـــذا المقال ـ لكن التعليم العالى فى هذه البلدان هو فى المقام الاول تعليم مجانى ، ومن هنا فان مستقبل الشخص لا يتوقف بالدرجة الاولى على وضعه المالى بل على قدرته ورغبته فى الدراسة ٠ وثانيا ففى كل بلد زرناه يتاح لكل خريج العمل فى المهنة التى اختارها . وهذا حق يكفله القانون ، ويوفر له منذ التحاقه بالكلية ، اذ يحسب عدد من يقبلون على أساس خطة عامة تأخـــذ فى اعتبارها كل احتياجات البلاد من مختلف المهن ٠ وهكذا فان المنافســـة التى أشرنا اليها من قبل لا تشير الى « مأزق » وانما الى تعطش الجيل الجديد الى المعرفة ، وتلك ظاهرة جديدة ذات أهمية بالغة فى نظرنا .

ومن المعروف أن البلدان التى زرناها كانت متخلفة عن أوربا فى مجـــال التعليم منذ ثلاثين عاما فقط ٠ وعلى سبيل المثال كانت نسبة الأمية فى رومانيا ٣٠٪ ، لكن من المعروف أيضا أن الحكومات الشقيقة فى تلك البلدان كان عليها أن تبذل جهدا هائلا لرفع المستوى الثقافى ٠ وتطبق بلغاريا وبولندا ورومانيا وعدد من البلدان الاشتراكية الأخرى اليوم نظام التعليم الثـانوى العـام الاجبارى ٠ وقد أعطت الثورة الثقافية ، ونشر المعرفة ، وكل العمل التربوى للاحزاب الشيوعية والعمالية والحكومات الشعبية ـ نتائج لم تتحقق فى أى مكان خارج حدود الاسرة الاشتراكية ، نتائج نستطيع أن نعتز بها . وخلق هذا وضعا جديدا تماما من زاوية التعليم العالى : فكل انسان تقريبا صاحب حق فى الحصول على مكان فى الكلية ، فالملتحقون المحتملون هم عمليـا جمهرة الشباب الذين يدخلون الحياة لتوهم .

ويعنى هذا أن التعليم العالى ليس « عاليا » فحسب لكنه يصبح أوســـع بكثير ٠ واذا كان ثمة خطر فيما مضى أن يغفل هذا التعليم شابا موهوبا لم يتمكن من الحصول على تعليمه الثانوى ، فان كل مواهب البلاد الآن تحت تصرفه ٠ لكن ثمة قضايا أخرى تثور ، وعلى سبيل المثال ماذا ينبغى أن يكون عليه « ناتج » مؤسسات التعليم العالى اليوم ؟ وكيف يمكن أن يقاس ؟ وما هو الهدف الأمثل ؟ ان كل الشباب تقريبا يريدون تعليما عاليا ٠ لكن أحدا فى مرحلة المجتمع الاشتراكى الناضج لايطرح مهمة « الانتقال الى التعليم العالى الشامل » ٠ واذن فلابد أن يتم اختيار ، وهنا تثور المسألة الاجتماعية الهامة ،

مسألة كيف تكفل فرصا متكافئة متناسبة للقبول لكل طبقات السكان وفئاتهم ومراتبهم ؟

● الأسرة والمدرسة والجيل الجديد :

من القواعد المطبقة في بولندا أن الفائز فى « أوليمبياد » (١) طلاب المدارس فى المحافظات وأفضل ثلاثة طلاب فى كل مدرسة ثانوية يقبلون فى مؤسسات التعليم العالى دون امتحانات قبول • وقد بلغ عددهم عام ١٩٧٦ نحو ربع الملتحقين بكلية الكيمياء فى جامعة وارسو • وقد سألنا البروفيسورج . روبل عن التركيب الاجتماعى لهذه المجموعة • ان ثلثى فئة أفضل التلاميذ (٦ر٦٦٪) ينحدرون من عائلات عمالية فلاحية • ومن الناحية الاخرى كانت نفس النسبة تقريبا بين الطلاب الذين قبلوا على أساس الاوليمبياد (٧ر٦٧٪) من أبناء المثقفين • ولهذا الفارق دلالته • فمن الواضح أن أبناء العائلات العمالية والفلاحية لا يتعثرون من حيث النتائج العامة فى المدرسة • وقد يكون هذا راجعا الى دروس الدأب والصبر والاصرار التى يستوعبونها فى بيوتهم ، ومن الناحية الأخرى تتشكل بعض الاهتمامات مبكرا فى جو العائلة المثقفة ، وتتطور التفصيلات والميول بنشاط أكبر • ويكون لهذا أيضا تأثيرة فيما بعد فى الكلية ، « فأفضل التلاميذ » السابقون يحققون تقريبا نفس التقدم الذى يحققه غيرهم من الطلاب ، الا أن بعضهم يقرر تغيير موضوع دراسته وينتقل الى كليات أخرى ، أما « فائزو الاوليمبياد » السابقون ، فيظلون يحققون نتائج أعلى من المتوسط ، وهم عموما لا يغيرون اختيارهم الاصلى •

ماذا يعنى هذا كله ؟ ان الاشتراكية تلغى عدم التكافؤ الطبقى ، وبنية المجتمع الاشتراكى تتغير بثبات نحو التجانس الاجتماعى • ومن الناحية الاخرى ، لازالت هناك فوارق طبقية ، ولازالت توجد بعض السمات المتعلقة بانحدار طفل معين من عائلة عمالية أو فلاحية أو خلفية من المثقفين أو فئة أخرى • وهكذا فان على المجتمع الاشتراكى أن يجد بعض الوسائل الاضافية لتعويض الفارق بين التربية المدرسية والمنزلية ، والا تطور عدم التناسب فى التركيب الاجتماعى للطلاب فى المرحلة التالية بعد التعليم الثانوى ــ التعليم العالى ، ولا بد من ايجاد أساليب محددة فى التعليم العالى أيضا لتحقيق واحد من أسمى مبادىء المجتمع الجديد ، مبدأ العدالة الاجتماعية •

---

(١) مباريات اختيارية فى المعلومات تعقد بانتظام حول مختلف المواضيع •

فأية أساليب تستخدم لمعالجة القضية ؟ قال لنا من تحدثنا اليهم فى بلغاريا ورومانيا وبولندا أن هذه القضية تحل أساسا بطريقتين ٠

الطريقة الأولى يمكن أن تسمى «التسوية فى مرحلة الانتهاء من المدرسة».

وقال لنا البروفسور ج٠ ماسيزفيسكى رئيس قسم العلم والتعليم فى اللجنة المركزية لحزب العمال البولندى الموحد والمرشح لعضوية اللجنة المركزية للحزب « يتخذ حزبنا اجراءات اقتصادية واجتماعية واسعة للتسوية بين مستويات وظروف المعيشة ، وتشمل هذه الاجراءات ضمان فرص متكافئة لكل الطبقات والفئات والمجموعات فى التعليم والتطور الثقافى ٠ ونحن نهتم بشكل خاص بنوعية تدريب المعلمين وتوفير التسهيلات المدرسية حتى نجعل الظروف مواتية متكافئة فى كل مكان ٠ »

وقد أكدوا لنا أهمية هذه السياسة فى بلغاريا ورومانيا ، لكنها سياسة تحتاج الى وقت حتى تؤتى آثارها ، فى حين أن مسألة « البداية المتكافئة » فى التعليم العالى تلح فى طلب الحل ٠ وهكذا تتخذ اجراءات أخرى أكثر سرعة فى تأثيرها ، وتشجع التسوية فى مرحلة « القبول فى الجامعة » ٠

ففى بولندا مثلا يعطى المرشحون من عائلات عمالية وفلاحية درجات اضافية ٠ لكن البروفسور ج٠ جووسكى ، نائب وزير العلوم والتعليم العالى والتكنولوجيا يقول لنا أن « هذا الاسلوب ليس مرضيا تماما ، وليست نتائجه أيضا مرضية ٠ ففى الاقسام النهارية من مؤسسات التعليم العالى تبلغ نسبة الطلاب من أبناء العمال والفلاحين ٤٤٪ ٠ وهذا ليس سيئا ، ولكن اذا ذكرنا أنهم يمثلون ٦٣٪ من الشباب بمجموعه ٠٠ » وهكذا يناقش البولنديون فى الوقت الحالى امكانية اتباع نظام آخر يمكن أن يجرب فى البداية على نطاق صغير ، ويتضمن هذا النظام دورات اعدادية تقبل من تلقوها فى مؤسسات التعليم العالى دون امتحانات ٠ والفكرة هى أنه مع مرور الزمن ستبلغ نسبة من يلتحقون بالتعليم العالى عن هذا الطريق ٢٠٪ ٠

وتخطط بلغاريا أيضا لاعداد مابين ١٥٪ و٢٠٪ من الملتحقين بالمدارس العليا بأسلوب مماثل ٠ يقول ب٠ جروزكوف سكرتير مجلس التعليم العالى فى جمهورية بلغاريا الشعبية « ونحن نستخدم فى تنظيم الدورات الاعدادية الخبرة التى أثبتت صحتها فى مؤسسات التعليم العالى السوفييتية ٠ »

ويذكر ر. بوجدان ، نائب وزير التعليم الرومانى ، أن ٥١٪ من طــلاب المدارس العليا الرومانية من أصل عمالى أو فلاحى ، وأن عشر المتقدمين يأتون من المصانع والمزارع .

وأوضح أن هذه ظاهرة واسعة فى البلدان الاشتراكية . ففى منغــوليا (وأحدنا ينتمى الى هذا البلد) يوجد قسم اعدادى فى الجامعة والمعهــــد الزراعى منذ ١٩٧٣ .

وتميل الدورات الاعدادية الى تفضيل الشباب العامل ، الشبان والفتيات الذين يعملون فى المصانع والمزارع وغيرها من مؤسسات الانتاج المادى منــذ تركهم المدرسة الثانوية . ويبدو هذا أمرا عاديا ومقبولا تماما .

● هدف التعليم العالى :

وكانت الخطوة التالية أن نكتشف كيف تتغير وظيفة نظام التعليم العــالى وهدفه مع تطور الاشتراكية .

منذ فترة ليست بالبعيدة كان كل شىء فى هذا المجال واضحا وفى مــكانه الصحيح . فقد كان دور التعليم الثانوى مثلا هو نشر المعرفة ، واشباع مايمكن أن يسمى احتياجات المجتمع الاجتماعية والثقافية العامة ، وليست الاحتياجات الخاصة المتعلقة بالانتاج . أما التعليم العالى فيخدم هدفا آخر ، فقــد كانت وظيفته هى أن يعد الناس لمهنهم المقبلة ويشبع احتياجات المجتمع الحالية من الكوادر المؤهلة تأهيلا عاليا فى الانتاج والعلوم والتعليم وغيرهما . فمــا هو الوضع الآن ؟ ألا نزال نستطيع أن نضع مثل هذا الخط الفاصل بين التعليم الثانوى والتعليم العالى ؟ هذا سؤال حاسم ، سؤال يحدد معـــايير « الناتج الأمثل » والدور الاجتماعى للتعليم العالى فى بناء المجتمع الاشتراكى المتطور فى مراحله المقبلة .

فما هى الوقائع المتصلة بالموضوع ؟ يوجد فى بلغاريا ١٠٨٠٠٠ طالب وفى رومانيا ١٧٥٠٠٠ وفى بولندا ٤٨٩٠٠٠ مما يعطينا النســبة التالية بين كل ألف من السكان : ١٢٣ ، ٨١ ، ١٤٢ . ولا تخطط بلغاريا وبولندا أية زيادة فى عدد الملتحقين خلال خطة السنوات الخمس الجارية ، فالعدد الحــالى من الخريجين كاف تماما حتى للمطالب الاضافية التى تخلفها التغييرات البنيوية فى هذا المجال أو ذاك من مجالات الانتاج .

وقد قال لنا الدكتور ج. كلوزينسكى مدير معهد الأبحاث والتعليم العالى البولندى : « لو قارنا امكانات الاقتصاد الوطنى بامكانات المدارس العليا فسنلاحظ فارقا كبيرا بين البلدان الاشتراكية وبقية العالم . فامكانات التعليم العالى هنا أكثر كثيرا مما قد نحتاجه اذا طبقنا معالجة اقتصادية صناعية تقوم على المنفعة وحدها ، ويرجع هذا الى السياسة الاشتراكية بأسرها واتجاهها نحو تطوير الشخصية . وتلك نتيجة تتفق تماما مع أهدافنا . فلا يستطيع الناس أن يقوموا بدور نشيط كفء فى ادارة المجتمع ، وتطوير كل أشكال مبادرة الجماهير التاريخية الا اذا تعلموا على مستوى مرتفع » .

وهكذا فان التعليم العالى يتطور متقدما على متطلبات منفعة الانتاج . أفيعنى هذا أن وظيفته قد اتسعت ؟ وأنه فى المستقبل لن ينتج كوادر مدربة فحسب، بل سيخدم أهدافا ثقافية عامة ؟

عند هذه النقطة كانت مناقشاتنا تتسم بالحيوية ، فالمسألة معقدة وتثير كثيرا من الآراء المختلفة .

كان البعض يرد بحماس « نعم تلك حقيقة واقعة ان الخطوط الفاصلة القديمة بين التعليم العالى والثانوى تختفى . لقد أثارت الاشتراكية رغبة الناس فى المعرفة بصورة تزيد كثيرا على متطلبات شهادات التخرج . وعلى المعاهد أن تواصل عمل المدارس الثانوية . وبالطبع ستظل تؤدى مهمة تدريب المتخصصين ، لكنها كذلك وظيفة تعليمية عامة . فلنفترض أن لدينا عددا كافيا مثلا من مهندسى انتاج المعادن . فماذا بعد ؟ اذا كان فى وسع العمال أمام فرن الصهر وصانعى الصلب أن يحصلوا على شهادات جامعية فهذا أمر جيد ، لا بد أن يؤتى ثماره فى نهاية المطاف ، فاختراع كبير واحد لصانع صلب تلقى تعليما هندسيا سيغطى تماما نفقات تعليمه وتعليم كثير من زملائه . أفليس هدف الاشتراكية هو تطوير كل المواهب ؟ أليس اهتمامنا الأول هو اثراء الشخصية ، وتشجيع التعبير الذاتى الخلاق ؟ »

ويقول البعض الآخر « نعم ، ان هذا هو ما نسعى اليه » ثم ينتقلون الى الهجوم فيقولون « لكننا لا نتفق معكم حول طريقة بلوغه . فلا بد أن تظل مؤسسات التعليم العالى أدوات لتدريب المتخصصين . ولا يمكن أن تحصل على كل شىء فى الوقت نفسه ، فالتعليم العام ليس وظيفتها ، انما هو مهمة المدارس الثانوية ، وهى توسع مجالها بما يتفق مع المتطلبات . وعلى أى حال فاذا شعرت أنك لم تتعلم فى المدرسة ما يكفيك فانك تستطيع مواصلة الدراسة . وهناك كثير من الفرص ، فماذا عن الأقسام المسائية فى الجامعات؟

وهناك أيضا الدراسة بالمراسلة ، وماذا عن كل الدورات الأخرى ، الجامعات الشعبية وسلاسل المحاضرات فى التليفـــزيون وما الى ذلك ؟ تلك قاعات محاضرات مفتوحة للجميع • أفليست وسيلة لرفع التعليم العـــالى الى أى مستوى تريد ؟ »

ان هذا النوع من المناقشات قد وضع يدنا على جو البحث الحر المثير فى حياة وتطور التعليم العالى فى ظل الاشتراكية • وقد أتيحت لنا فرص عديدة لكى نرى بأعيننا أية فرصة هائلة ، وأى تنوع فى الطرق ، تتيحها الاشتراكية لنمو الجماهير الثقافى •

● الرسالة الثانية :

لقد بدأنا نتعلم من الطبيعة أسرع مما نتعلم من بعضنا البعض • فمناهج المعهد تغطى عادة فترة خمس سنوات ، لكن حجم المعرفة فى ميدان علم الأحياء مثلا يتضاعف خلال هذه الفترة • والمعرفة فى مجال الوراثة تتضـــاعف كل عامين ، والمعدل أكثر سرعة فى الفيزياء النووية وأبحاث الفضـــاء • واذا استطعنا أن نحول سلحفاة زينون الشهيرة التى كان آخيل يجرى فى اثرها الى قطار سريع فسنحصل على نموذج شبيه بنموذج السباق الذى ينبغى على طلاب اليوم أن يدخلوه •

وليس هذا كل شىء • فليسوا كثيرين اليوم أولئك الذين يســتطيعون أن يعيشوا طيلة حياتهم فى ذات المهنة التى اختاروها فى الأصل • وقــد نبهنـــا البروفسور ج• كوبيسفيتش ، عميد كلية التربية فى جامعة وارسو ، الى أن نحو نصف المهن الموجودة اليوم لم تكن معروفة فى بداية القرن ، ومن بين هذه المهن لن يبقى سوى النصف فى العقود القليلة التالية • ان ملايين الصـــغار يلتحقون بالمدارس ، لكننا لا نعرف أى نوع من العمل سيؤديه نصفهم حــين يكبرون ، وكل ما نعرفه هو أن نصفهم سيعملون فى مهن ليست موجـــودة اليوم •

وقد يسأل المرء ما الفائدة من التعليم اذا لم تكن تستطيع أن تعلم كل شىء ، وكيف ينبغى لك أن تعلم اذا لم تكن تعرف ماذا سيصبح تلاميذك ؟

لقد وضعت الثورة العلمية والتكنولوجية اليوم التعليم العالى فى وضــع لم يسبق له مثيل • وبعض الناس يؤمنون بأن أيام المدرسة العليا كمؤسســـة اجتماعية أصبحت أياما معدودة • وكل ما تستطيع أن تفعله هـــو أن تغلق

عيونها عن العالم المحيط بها وتترك الشباب يتعلم من ((الحياةنفسها)). وعلى سبيل المثال يوجه أندريه جورز عالم الاجتماع الفرنسى دعوة الى الغـاء الجامعات فى عنوان واحد من مؤلفاته . وليس هذا رأى الجميـع بالطبع ، فبعض المنظرين البرجوازيين يتخذون ((خطا متفائلا)) ، وهنـاك عدد ضئيل مثل رايموند آرون والين تورين فى فرنسا أو دانييل بيل فى الولايات المتحدة يتطلعون الى يوم سيكون للتعليم العالى فيه الدور الأسمى « لتكوين البنية » وهم يأملون أن تتمكن الجامعات بعد قدر من اعادة التنظيم من ارساء « سلطة العلم » التى ستكون سلطة « فوق الطبقات » .

واعادة التنظيم ضرورية بالطبع ، ولا أحد يجادل فى ذلك ، وقد تم الكثير فى هذا الشأن على مدى واسع ، لكن الخطـوط الاجتماعيـة مختلفة كل الاختلاف ، فالبلدان الاشتراكية قد وضعت ولازالت تجسـد باستمرار مفهومها عن تطوير التعليم العالى فى ظروف الثورة العلمية والتكنولوجية .

● جانبان للتكامل :

يقول أ. سابو ، نائب رئيس قسم الدعاية والصحافة فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الرومانى ، « ان التغييرات فى نظام التعليم العالى فى بلادنا تغييرات ثورية . ونحن نأمل أن نحل القضايا الحالية بتقريب التعليم العالى من الحياة فى كل المجالات . ووفقا لتعليمات مؤتمر حزبنـا الحادى عشر يتم التكامل بين التعليم والبحث والانتاج بصورة واسعة . »

فماذا يعنى التكامل بين التعليم والبحث ؟

يعنى من الناحية التنظيمية علاقات جديدة بين مؤسسات التعليم والبحث .. وقدم الاكاديمى د. جيوكو ، مدير جامعة بوخارست ، فى اجتماع واسع فى الجامعة شرحا واقعيا للطريقة التى يتم بها ذلك ، فقد أدمجت كليـة الرياضيات فى الجامعة الآن تماما مع معهد الأبحاث الرياضـية فى أكاديمية العلوم ، الذى كان يعمل من قبل مستقلا . وبالمثل اندمج معهد الجغرافيا فى الأكاديمية مع كلية الجغرافيا ، ومعهد التاريخ والآثار مع كلية التاريخ .

ونشهد شيئا مماثلا فى بلغاريا ، فهنا أدى اندماج جامعـة صوفيا مـع أكاديمية العلوم الى تكوين مراكز موحـدة للبحث وتدريب الكـوادر فى الرياضيات والفيزياء وعلم الاجتماع والفقه وعدد من الدراسات الاخـرى . والوحدات البنيوية الجديدة موحدة فى ادارتها وخطتها التى تشمل كلا مـن

التعليم والبحث . ولم يعد متبقيا شيء من الفكرة القائلة أن البحث شيء ثانوى فى الجامعة ، ونوع من « الحافز التعليمى » . وتحصل الوحدات المندمجة على نصيبها فى خطة الدولة العامة للأبحاث ، وبذا تشترك فى تقسيم أعمال البحث وتعاونها على النطاق الوطنى .

ولسنا بحاجة الى أن نشرح مدى استفادة العلم من هذا التكامل . فماذا عن التعليم ؟ ما هو التأثير التعليمى للتكامل ؟ من آثاره أن المعاهد والجامعات تحصل على موارد مادية وتكنيكية أكبر . ويجرى جانب كبير من التعليم فى المعامل المتخصصة ، بمساعدة معدات معقدة غالية الثمن كثيرا ما تكون فريدة. وثمة تأثير آخر هو أن الشباب يتعلمون من خلال عملية بحث جدية ، ويحصلون على معارفهم من الابحاث ذاتها . ان النكتة القديمة التى تقول « أن من يستطيعون يعملون أما من لا يستطيعون فيعلمون » كانت تنطبق أحيانا على أساتذة الكليات . أما الآن فان من « يعملون » هم الذين يعلمون الشباب ، وهذا يتيح قدرا أكبر من المعلمين .

وفى بلغاريا ذكرت لنا الاستاذة ت. أجريروفا ، عميدة كلية الرياضيات فى جامعة صوفيا كيف كان أعضاء الاقسام الصغيرة حتى وقت قريب يقسمون فترات المحاضرات فيما بينهم ، وكثيرا ما كان نفس الشخص يقدم نفس المحاضرات عاما بعد عام . وقد ألغى التكامل أقسام الكليات ، فكل المتخصصين فى المركز العلمى الموحد يقومون بالتدريس ، سواء كانوا من الكلية أم من الأكاديمية . وكثيرا ما يقدم نفس مجموعة المحاضرات اخصائيون مختلفون فى دورات متوازية ، وأصبحت مقارنة نوعية التعليم أيسر ، وتحقق تقدم أفضل فى سبيل تحسينها ، كما تساعد على ذلك استطلاعات الرأى التى يجيب عنها الطلاب دون ذكر أسمائهم .

وماذا يعنى التكامل على مستوى « التعليم والانتاج » ؟

انهم يجرون تجربة فى بولندا عن تدريب المهندسين الكهربائيين ، ويبدأ الطلاب فى المعهد الفنى فى وارسو لكنهم ينقلون بعد عامين من التدريب الأساسى الى قسم خاص فى مصانع الهندسة الكهربائية الثقيلة فى ايلبلاج . ويقول المتخصصون البولنديون أن المعدات هنا فريدة ، وليس ثمة حاجة الى نسخها فى مركز التدريب .

وتعالج رومانيا مسألة التكامل بين التعليم والانتاج بطريقتها الخاصة .

فحين كنا نقوم بدراسة معهد بوخارست الفنى كان علينا أن ننتقل من مبنى الى مبنى وكأنما نقوم بسياحة فى مدينة ، ولا عجب ، فهذا المعهد الذى يضم عشرين ألف طالب هو أكبر معهد فى البلاد ، وهو من ذلك النوع الذى أصبح يسمى الآن « الجامعة التكنيكية » • ويمكن للمرء أن يتلقى تقريبا أى نوع من التدريب الانتاجى العملى فى ورشه ومعامله • وقد التقينا فى محطة الحرارة والطاقة ــ وللمعهد محطته الخاصة ــ بمجموعة من خمسة أو ستة طلاب تعمل مع مدربيها جنبا الى جنب مع الكوادر المؤهلة فى المحطـــة • ويتم التدريس أثناء نوبات العمل النهارية والمسائية وفق ما تتطلب وتيرة العمل •

كما رأينا طلابا يحملون شارة معهد بوخارست البولتكنيكى على ستراتهم فى ورش مصانع الآلات الزراعية فى بوخارست • وقد أدهشـــنا ذلك فى البداية • التدريب العملى أثناء فترة الدراسة ؟ بيد أن هذه كانت هى المسألة • فمنذ العام الماضى يتعاون المصنع والمعهد على أسس جديدة • فخـــلال العام الدراسى يحتفظ المصنع بالعدد اللازم من الأعمال للطلاب التطبيقيين • وأعيد تنظيم جدول المعهد الدراسى للمزاوجة بين الدراسة النظـــرية والتطبيقية • وكل ثلاثة أسابيع يجرى استبدال مجموعة الطلبة فى الورش ، وهكذا يمضى الأمر شهرا بعد شهر •

وتتخذ دراسة الشباب وكذلك عمل الدبلوم مظهرا جديدا اليوم • فكثيرا ما يتخذ شكل التسيير الفعلى للمعدات التكنولوجية وطاولات الاختبـــار فى الورش ووحدات الآلات المحسنة •

وطرق تكامل التعليم مع الانتاج فى البلدان التى زرناها متنوعة بقدر تنوع البلدان ذاتها • ولم يخف من تحدثنا معهم أنه ما زال أمامهم تعـــلم الكثير ، وأنهم فى بعض الأحيان يواجهون قضايا ومصاعب غير متوقعة • غير أن النتائج الاولى كانت مشجعة تقرب من الهدف النهائى • وهذا الهـــدف واحد فى كل البلدان ، وهو اعطاء الطلاب فكرة عن الانتاج تســـاعدهم فى تعلم المزيد عن المهنة التى اختاروها وظروفها ، والمطالب التى ستطلب منهم أثناء حيـــاتهم المهنية ، وتضعهم فى صلة أوثق بالعمل الذى سيؤدونه فى المجتمع •

● من القبول الى التخرج :

ان التكامل بين التعليم والبحث والانتاج هو العلامة المميزة التى تركتهـــا الثورة العلمية والتكنولوجية على نظام التعليم العالى • كما أدت هذه الثـــورة

الى اعادة تنظيم عملية التعليم ومضمونها وأساليبها واتجاهها .

فالتقسيم الواسع للعمل والتخصص الضيق من سمات عصرنا . و « سيناريو الانتاج » يوضح حتى آخر كلمة ومنفذ . والرغبة الطبيعية هي اعطاء الخريجين دورهم دون أي « تكييف » حتى يستطيعوا أن يؤدوا عملا كاملا منذ البداية . لكن الثورة في العلم والتكنولوجيا تجعل هذه الأدوار مؤقتة . فالانتاج يصبح أكثر فأكثر دينامية . وهكذا ، لا بد أن يكون المؤدون قابلين للتكيف . وبعبارة أخرى فان المسألة هي تحقيق متطلبات متعارضة . فهل هذا ممكن ؟ واذا كان ممكنا فكيف ؟

يقول الاكاديمي « فوينيا » ، عميد معهد بوخارست البولتكنيكي « لفترة طويلة كانت مؤسسات التعليم العالي في رومانيا توجه على أساس التخصص الضيق . أما الآن فقد أعيد النظر في النظام بصورة جذرية . ان لدينا الآن ٨١ تخصصا أوسع بدلا من ١٥٥ تخصصا . وخلال السنوات الأولى لا تقسم الدراسة الا الى ٣٥ قسما واسعا . وفي الوقت نفسه فاننا لم نتخل عن هدف تدريب الخريجين بحيث يمكن أن يدخلوا الانتاج على الفور كمتخصصين كاملين . لقد قررنا أن نتخصص بمساعدة الصناعة وانما في اطار التعليم العالي . »

ويجرى التحول نحو « التخصص الواسع » في كل مكان في البلدان الاشتراكية فهو يجرى في بولندا مثلا منذ عدة سنوات . ويقول لنا الدكتور ج. جورسكي : « لكن التكيف مع العمل مسألة تتخطى اطار التعليم العالي ، فعلى المتخصص أن يعمل نحو عام في الانتاج حتى يتكيف تماما . وهناك طرق مجربة ناجعة لوضع اللمسات الاخيرة للمدرسين والاطباء والمحامين . وسيطبق المبدأ نفسه على المهندسين . »

وقد أثارت هذه المبادىء العامة اهتماما بسبب ما بينها من أوجه شبه وأوجه خلاف .

ففي حين تعاد تنظيم نظام التعليم بأسره في رومانيا تخطط بولندا لاعادة تركيب بنية المدارس الثانوية وحدها . وحين سيتم اعداد الدفعة الأولى من طلاب مدارس الاثنتي عشرة سنة سيجرى اصلاح كبير في التعليم العالي . وقد وضع رجال التعليم البولنديون في خططهم التحضيرية نموذجا يمكن أن يعهد فيه التخصص الانتاجي واعادة التدريب والاستخدام الرشيد للكوادر

ككل متكامل بشبكة خاصة جديدة خارج اطار التعليم العالى . وهذا واحد من أوجه الاختلاف .

وتكمن أوجه الشبه فى أن كلا من الرومانيين والبولنديين ـ والبلغاريين أيضا ـ يؤكدون على الأهمية البالغة للتدريب النظرى الأساسى العام للمتخصصين . وهذا مالا يمكن أن تقوم به سوى مؤسسات التعليم العالى .

ولا تعنى المعرفة الأساسية اليوم شيئا شاملا . يقول ب. سندوف مدير جامعة صوفيا والعضو المراسل فى أكاديمية العلوم : « لقد انقضى الى الأبد الزمن الذى كانت الجامعة تخرج فيه انسيكلوبيديين . فما من جدوى لمحاولة تعليم كل شيء . وعلى المرء أن يقوم بتعليم ما هناك حاجة اليه . « فليست المعارف ذات قيم متساوية ، فهناك معارف طويلة الأجل ومعارف زائلة . ويؤكد سندوف أن الجامعة تتخذ أساسا لها المعارف التى يعتقد المتخصصون أنها ستحتفظ بقيمتها لحياة جيل تقريبا ، وهم يضعون على أساس ذلك برنامج تدريب لنحو ثلاث سنوات قادمة ، وتلك هى « الوحدة الأساسية للمعرفة»

واليكم واقعة لها دلالتها ، فقد عرفنا فى بلغاريا أن جامعتى صوفيا وموسكو قد استخدمتا فكرة التعليم الأساسى العام لبدء تجربة هامة . ففى العام الماضى بدأ دارسو الرياضيات ـ وفى العام الحالى دارسو الصحافة والفيزياء والكيمياء ـ يدرسون البرامج نفسها . ويؤمن منظمو التجربة بأن « توحيد » الوحدة الأساسية سيساعد على تطوير التعاون العلمى والتكنولوجى والثقافى بين البلدين ، وسيتيح لهم اجراء تبادل أوسع بين الطلاب ، الذين سيتمكنون من التخصص وفقا لاحتياجات كل بلد .

لكن لنعد الى موضوعنا ، فحتى الوحدة الاساسية لايمكن أن تكون أبدية . انها لايمكن أن تكون مستقرة ، لكنها لايمكن أن تكون ساكنة . وتعهد مهمة تعديل البرامج فى بلغاريا ورومانيا وبولندا الى أفضل فرق المتخصصين . وتقر البرامج فى المركز وتصبح ملزمة للجميع ، غير أنه يتاح لمؤسسة التعليم العالى فى بولندا مثلا أن تضع خطة لسبعة أو ثمانية أعوام دراسية ـ حسبما تراه ملائما ـ حتى تستطيع أن تستخدم سماتها الخاصة وتقاليدها المميزة . وفى وزارة العلوم البولندية تضع مجموعات خاصة من خبراء التعليم العالى والتكنولوجيا برامج لكل المواد . ومن الاجراءات المعترف بها تعديل البرامج كل خمس سنوات .

ولما كان من المستحيل أن تشمل « الوحدة الأساسية » كل المعارف التى قد يحتاجها المتخصص فى المستقبل فلابد من « تعليمه كيف يتعلم » . وكانت هذه عبارة سمعناها كثيرا فى بلغاريا ورومانيا وبولندا .

● مفتاح الابداع :

ويعنى تعليم الناس كيف يتعلمون الهامهم الحماس للعمل ، وتشجيع عادة الاستطلاع ، وتربية ذوق العامل المستقل وتطوير مهارته ، كما يعنى اشعال الرغبة فى العمل الخلاق ، أو على حد تعبير أحد من تحدثوا معنا « الارتفاع بعملية التعليم لتصبح عملية بحث . » وهنا يلعب التكامل بين التدريب والبحث والانتاج دوره » .

انه يغير طبيعة العلاقات بين الطالب والمعلم ، فقد حلت محل الصورة التقليدية التى ينقل فيها أحدهما معارف جاهزة الى الآخر علاقة تعاون بين شريكين وحين كان أستاذ موقر يخاطب طالبا كزميل له لم يكن الامر يعدو التهذيب من جانبه . أما الآن فان الكلمة تعكس الوضع الفعلى بصورة متزايدة .

وقد حدثونا عما يسمى مجموعات الابداع «المختلطة» التى تتألف من معلمين وطلاب يعملون فى نفس الموضوع . وفى البداية يعهد للطالب بأداء مهام بسيطة نسبيا ، واذ تزيد قدراته بالتدريج فانه يتطور الى باحث مستقل ناضج أصيل .

ومن المهم فى مثل هذا العمل أن نأخذ فى الاعتبار تكوين الطالب الفردى ومواهبه واهتماماته . وفى العادة تنتج أكثر الدروس شعبية أفضل النتائج . وكيما تكون الدروس شعبية لابد أن تكون متنوعة . ولكن كيف يمكن وضع دائرة واسعة من الاهتمامات فى برنامج تعليمى موحد ؟

ان واحدا منا يعرف جيدا القضايا الصعبة التى تواجه مؤسسات التعليم العالى خارج العالم الاشتراكى . وقد أوضحت كثير من الأمثلة أن الحركات الاصلاحية التى هزت الجامعات فى السنوات الاخيرة قد فشلت فى احداث تغييرات جذرية فى هيكلها الادارة والاكاديمى ، ومن ثم فرض حلول شاملة فى أساليب التعليم . وكان هذا هو الاطار الذى دافع فيه الطلاب عن حقهم الديموقراطى فى حرية حضور المحاضرات . لكن الخبرة التعليمية توضح أن الدراسات غير المنتظمة تؤثر تأثيرا سيئا على الفروع التعليمية . فتطبيق

الالتحاق الاختيارى بالمحاضرات يعجز الطلاب عن استيعاب مابين ٤٥٪ و ٥٠٪ من المادة الأساسية للتدريب المهنى الحقيقى .

والظروف فى البلدان الاشتراكية مختلفة بالطبع ، وجامعاتها لاتواجه القضايا ذاتها . فحضور المحاضرات الزامى ، وهو يشجع كثيرا استيعاب المعرفة . ولكن أية خطوات عملية تتخذ لاضفاء الطابع الفردى على التعليم فى هذه البلدان ؟

لقد بحثنا هذه المسألة . ان البرامج تقسم الى جزءين ، والمواد العامة التى تشمل دائرة واسعة من الاهتمامات الزامية ، أما الفروع « الضيقة » فتدرس عادة اختياريا . وهكذا فان الطالب يستطيع أن يختار . وهناك أيضا برامج

فردية للطلاب الذين يريدون أن يتابعوها · ويختار الطـلاب هــذه البرامج بأنفسهم أو بالتشـاور مع معلمين مجربين معينين لهذا الغرض · وفى بولندا يستطيع أى طالب أن يتحول الى برنامج فردى ما طالما يحصل على درجات « أربعه » (فى نظام من خمس درجات) · ويحدث هذا فى أغلب الاحوال بعد عامين أو ثلاثة من التدريب العام · وأخيرا ينتشر نظام الحلقات وروابط الطلاب العلمية والتكنيكية وغيرها من الروابط الابداعية فى مؤسسات التعليم العالى فى البلدان الاشتراكية ، وهى تشــكل بمجموعها مايكاد يكون جامعة داخل الجامعة ، جامعة لها اهتماماتها الخاصة ·

وقد تغيرت العلاقة بين « الواسع » و « الفـردى » تغيرا كبيرا فى اطار الدورس النظامية · وعلى سبيل المثال كان على كل معلم فى مؤسسة تعليم عليا فى بلغاريا فى العام الدراسى ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ أن يعمل مع ٣٠ طالبا ، وقد هبط هذا العدد فى ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ الى عشرة طلاب · وليست هذه ســوى أرقام احصائية متوسطة ، واذا أخذنا فى اعتبارنا التغيرات الاخرى فى عملية التعليم فسنرى أن الاهتمام بالطالب قد زاد بنسبة تزيد على ثلاثة الى واحد ·

وقد تمكنا من دراسة كيف ينظم التعليم فى قسم الرياضــيات فى جامعة صوفيا · وتستمر الدراسة بين ثلاث سنوات ونصف وخمس ســنوات · وبالطبع فان أكثر الطلاب قدرة واصرارا هم الذين يمضــون حتى النهاية · ومطلوب منهم بعد ثلاث سنوات ونصف من الدراسة أن يحصلوا على متوسط « خمس » درجات (نظام من ست درجات) · وفى الســنوات الاخيرة حين يتخصصون يعملون فى مجموعات صغيرة · وتعطى دورات بأكملها من المحاضرات لمجموعات من ثلاثة أو أربعة طلاب ، وهناك نحو خمسين فصلا كهذه · ولكل طالب مرشد مؤهل تماما يوجهه فى دراسته ، ويساعده بالنصيحة ، ويقاسمه الخبرة ، وكقاعدة يتخرج كل الطلاب تقريبا بامتياز ·

وتبين الارقام التى أعطيت لنا فى البلدان الثلاثة تحسنا مطردا فى انجازات الطلاب · غير أن المتخصصين لايحكمون « بالدرجات » وحدها ، فهم يؤكدون أنها ليست المؤشر الوحيد ــ بل ليست المؤشر الرئيسى ــ لنوعية التـدريب · فأنباء التقدم الذى يحققه الخريجون فى الحياة بعد ذلك تعتبر المؤشر الذى يعول عليه أكثر من غيره ·

● الرسالة الثالثة :

فى بولندا طلبوا الينا الاجابة على لغز (على ســبيل المزاح) : « ما الذى يقرأه كل الطلاب منذ الصباح حتى المساء ؟ » ، وكانت الاجابة الصحيحة هى « الاعلانات » الادارية .

ففى كل مكان فى قاعات الاستقبال وفى مداخل دور الطلاب والنوادى وقاعات

العشاء وحتى العيادات توجد الاعلانات والبلاغات الخ ... على قطع كبيرة من الورق ، وصفحات منزوعة من كراريس الدراسة ، بعضها مكتوب بخط جيد ، وبعضها مجرد خطوط على الورق . ويبدأ الكثير منها بعبارة قاطعة « انتبهوا ! » بينما يبدأ البعض الآخر بعبارات تستهدف كسب الثقة : « هل تحب أن .. » وكلها تستهدف لفت انظار الطالب وتعلن عن اجتماعات الهيئات ، ومباريات تنس الطاولة ، واجتماعات المجالس العلمية ، ودروس الرقص ، والمناقشات الفلسفية ، واجتماعات المتشابهين في الأسماء والاجتماعات مع شخصيات بارزة ، والاستشارات للطلاب الذين يحتاجون تدريبا ، والمؤتمرات السياحية ، واجتماعات الشباب ، والندوات العلمية ، وفرق الغناء ، ومراقبة النظافة والصحة بل حتى شيء يبدو في غير موضعه عن تعليم الموسيقى بالمراسلة » .

ان دوامة حياة الطالب تذهلك في البداية ، وتوحي نزواتها المتدفقة بالفوضى الكاملة ، وربما كانت كذلك ، فالشباب يشربون الحياة في جرعة واحدة ، ويمزجون المهام الجادة بالكسل ، والعظيم بالمثير للسخرية . لكن هذا لاينطوي الا على بعض الصحة .

لقد رأينا مايكفى لكى نعرف أن ثمة نظاما فى هذه الفوضى البادية ، فاهتمام الطالب الرئيسى اليوم ـ شأنهم « بالأمس » وربما أيضا « فى الغد » ـ يتركز على اكتشاف ذاتهم أيديولوجيا وأخلاقيا ، على تحقيق ذاتهم ككائنات انسانية . انهم جميعا يتطلعون الى اكتساب نسق من الافكار عن العالم ، الى شىء يرشدهم فى الاستخدام الهادف لقدراتهم ، وتشير مناقشاتنا فى اللجان المركزية ومع القياديين فى مجال التعليم العالى فى بلغاريا ورومانيا وبولندا الى أن روح البحث عند الشباب تحظى بتفهم عام ، وتتوفر لها ظروف مواتية لنجاحها .

ومن المسلم به عموما أن المدارس العليا ليست مسئولة عن التدريب المهنى فحسب ، بل ومسئولة بالدرجة نفسها عن التربية الأيديولوجية والأخلاقية، التربية بروح المثل العليا للشيوعية الانسانية ، بروح الجماعية والوطنية والأممية . فرغم أن الخريجين سيصبحون متخصصين فى ميادين مختلفة فسيتحملون جميعا الواجبات المدنية ذاتها . ورغم أن الشبان قد يختلفون كثيرا كأفراد ، فانهم بمجموعهم يشكلون طراز الشخصية التى يتسم بها المجتمع الجديد .

ولكن فلنحذر التبسيط المفرط . اننا لانعنى أن كيانا كاملا من الطلاب قد ظهر فجأة ، لدى كل منهم نفس الفضائل النموذجية ، فعملية النضوج عملية معقدة ، والذبذبات والاندفاعات المتهورة واخطاء الشباب كلها جزء من هذه العملية . اننا لم نتأثر بنموذج مثالى ، وانما لطاقته العالية لحياة الطلاب ، وبالجهد المشترك من أجل انسانية حقة .

وفى رأينا أن الحماس التعليمى الذى شهدناه فى هذه البلدان هو السمة

المميزة الاساسية الاكثر ايجابية للمدارس العليا في ظل الاشتراكية ٠

● دروس في العقيدة :

قال لينين في ندائه الشهير الى الشباب «لن تصبحوا شيوعيين الا اذا أغنيتم عقولكم بمعرفة كل الكنوز التي خلفتها البشرية» (المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٣١ ـ ص ٢٥١) ٠

ان المعرفة الواسعة ، معرفة « كل الكنوز » هي التي تقود الى الاختيار الواعي للنظرة الماركسية اللينينية الى العالم ٠ وهكذا يوضح التعليم الاشتراكي للشباب دون تردد دائرة واســـعة من الاتجاهات والمفهومات الأيديولوجية في تطورها التاريخي ٠

وليس هذا الخط صحيحا بالنسبة للفلاسفة وعلماء الاجتماع المقبلين فحسب بل هو صحيح أيضا بالنسبة لكيميائي المســـتقبل وتكنولوجييه وبيولوجييه ، فأيا كان الميدان الذي يختاره الطالب ، وأيا كانت الجامعة أو المعهد الذي يدرس فيه فسيتلقى الطالب دورة منتظمة في الفروع السياسية ـ الاجتماعية ٠ وتشمل هذه الدورة في البلدان التي زرناها أربع مواد على الاقل : تاريخ الحركة الثورية في البلد المعين ، وتاريخ الحزب الحاكم وسياسته ، وقضـايا البناء الاشتراكي والشيوعي ، وفي المقام الأول ـ في السنوات الأولى ـ دروسا أساسية عامة في الاقتصاد السياسي والفلسفة ٠ والفكرة هي أنه لابد من أن تتوفر للشباب آفاق واسعة ، وأن يتعرفوا على الصراع الايديولوجي الحاد في الماضي والحاضر ، وأن يتعلموا كيف يستخلصون نتائجهم الخاصة ، وبذا يكتسبون نظرة علمية الى العالم ٠

وحين يكتب الكتاب البرجوازيون عن التعليم العالي في ظل الاشتراكية، فانهم في بعض الاحيان يزعمون أن البرنامج « مشحون أيديولوجيا » ٠

وهم يقولون أن وقتا قصيرا هو المتاح للتدريب المهني السليم ، كما يزعمون أن الطلاب يجبرون على دراسة مواضيع لا تثير اهتمامهم ٠ غير أن الحقائق تبين أن مثل هذه الآراء لا تقوم على أساس ٠

ففيما بين ٨٥٪ و ٩٠٪ من ساعات الدراسة يخصص للتدريب المهني بالمعنى الضيق للكلمة ، الأمر الذي يعني أن ما بين ١٠ و١٥٪ من هذه الساعات فقط هو الذي يخصص للمواضيع الايديولوجية ٠ وكانت تلك هي النســـبة التي لاحظناها في كل المؤسسات التي قمنا بزيارتها ، ويبدو أنها توضح النقطة التي نعنيها ٠
كما تحسسنا موقف الطلاب من المواضيع السياسية والاجتماعية والاقتصادية

ـ الاجتماعية واهتماماتهم ـ وسألناهم عن المستوى المطلوب فى هـذه المواد ٠ وكانت الاجابة أن مستواها مرتفع عادة ٠ كما سألنا المراجع عن التقدم فى هذه المواد ، وقيل لنا أن متوسط الدرجات لايقل عنه فى باقى المواد ٠

وعلى وجه التقريب ينفق نصف الوقت المخصص للفروع الايديولوجية فى محاضرات وبقيته فى حلقات دراسية ٠ ويناقش الطلاب أثناء الحلقات الدراسية المواضيع التى تتطلب بحثا اضافيا وتفسيرا أعمق ٠ ويعنى الاعداد لهـذه الدراسات فهما جادا للكتابات العلمية والوثائق والمعلومات المستمدة من الحياة ٠ وليس الاهتمام بتعليم المواضيع والصيغ « عن ظهر قلب » وانما بالاستيعاب الخلاق للمعالجة الماركسية اللينينية العلمية لتحليل الاشياء والظواهر ٠ وقد لاحظنا عددا ليس بالقليل من الحـالات التى كان فيهـا المتجادلون يواصلون النقاش بعد أن دق الجرس بفترة طويلة ٠

وأخيرا فان الاهتمام العميق الذى يبديه الشباب بالأيديولوجية والسياسة وعلم الاجتماع يوضح كذلك أن أغلبهم لايقتصر على « الحد الادنى الاجبارى » الذى يتطلبه البرنامج ٠ فكثير منهم يحضرون دورات وندوات أيديولوجية اضافية ، وحلقات دراسية سـياسية ، ومنظمات شـبيبة ومنظمات حزبية ، ومؤتمرات علمية نظرية ، وقرارات ومباريات ٠ وقد اشترك مائة وخمسـون ألفا من الطلاب أى ثلثى مجموع الطلاب طواعية فى مباراة كل بولندا للمعرفة السياسية فى ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ التى فازت بها جامعة لوبلين ٠ وحين وصلنا الى بلغاريا كانوا يصنفون نتائج مباراة الجمهورية السياسية الثامنة للطلاب ٠ وقد اتضح أن أغلب الطلاب الأجانب الذين يدرسـون فى بلغاريا قد اشـتركوا بدورهم فيها ٠

وكانت هذه نقطة أثرت فينا ٠ فلماذا يشـترك طلاب أجانب لايقيمون فى البلاد الا بصورة مؤقتة فى مباريات داخلية ، لقد كانت على أى حال مبـاراة اختيارية ، لكنهم قالوا : « اذا كانت اختيارية فلابد أن تسمحوا لنا بالاشتراك فيها » ٠ انهم لم يكونوا يريدون أن يقفوا بمنأى عنها ٠ وقد أجرينا عدة أحاديث مع شباب وفتيات من بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا الأخرى ٠ وقد درس بعضهم فى مدارس عليا برجوازية ٠ وقالوا لنا ان كل ماوجدوه هناك هو غسيل المخ البرجوازى المألوف بدلا من الوضوح الذى كانوا يبحثون عنه فى المسائل الأيديولوجية ٠ وكان ماأحبوه فى مؤسسات التعليم العالى الاشتراكى هى أنها تساعد الناس ـ الى جانب التدريس المهنى ـ على أن يرسوا الأسس المعنـوية والأخلاقية لشخصيتهم ٠

وتسهم كثير من العوامل فى معتقدات الطالب واحسـاسه بواجبه المدنى ومعايير سلوكه ٠ فمضمون الدراسات وجوها ، والمثل الذى تضربه الكلية ، والعلاقات داخل المجموعة ، والعمل والحياة فى المجتمـع ـ كلها تترك طابعها ولكل واحد منها أهميته فى النضج الروحى ٠ ويلعب العمل الاجتماعى الذى

يقوم به الشباب دورا خاصا فى ارساء مواقف ايديولوجية واخلاقية راسخة.

● « نحن نفعل ذلك بأنفسنا » :

كان نادى جامعة وارسو مبنى غير جذاب ، وقد أطلق الطلاب عليه اسم « ستودولا » (الحظيرة) • ورغم أن النادى قد انتقل الى مبنى جديد رائع فمازالوا يشيرون اليه باسم « ستودولا » • وقمنا بزيارة ناد آخر • ان دارين للطلاب تواجهان أحدهما الاخرى ـ دار للطلاب وأخرى للطالبات • وكان النادى هنا فى دار الطالبات ويحمل اسم « أوباب » (لدى الفتيات) ، وهو اسم ينطوى على شىء من روح العبث •

وصحبتنا تريزاجور سزينسكا رئيسة النادى الى قاعة الرقص والمقهى والبار وغرف النادى • واذ كنا نتطلع حولنا قالت لنا :

« تعقد الندوة الشعرية لدينا يوم الاثنين ، ولكتاب النثر ندوتهم ، وللمترجمين حلقتهم ، ولمحبى الروايات العلمية جمعيتهم • وفى أيام الاربعاء تجتمع جمعية المناظرة السياسية . وستناقش غدا « قضايا القرية البولندية » . هل تحبون أن تأتوا ؟ وبالمناسبة ماهو أكثر مايثير اهتمامكم ؟ »

وأردنا أن نقول لها كل شىء يثير اهتمامنا ، فقد أحسسنا أننا عند واحد من مصادر هذه الاعلانات •فهنا يجرى اجتماع متشابهى الأسماء • وهنا رأينا اعلانا وردت فيه أسماؤنا • ماذا كان هناك ليثير اهتماما خاصا ؟ كان هناك اعلان عن « يوم للرواية العلمية يشترك فيه مؤلفون من بلدان أخرى » • و « أمسية للموسيقى الكلاسيكية » (على أضواء الشموع بالطبع) و « اجتماع للتضامن مع طلاب شيلى » • من الذى يعد كل أوجه النشاط هذه وينظمها ؟

« نحن نفعل ذلك بأنفسنا »

وتدرس تريزا جورسزينكا فى قسم علم الانسان • وكل أعضاء هيئة النادى أيضا من الطلاب • وفجأة ظهر جزيسلاف بيساركيفيتش وهو طالب فى قسم الاقتصاد • وهو كرئيس لمجلس الطلاب يعتبر « المرجع » الذى يرجع اليه كل طلاب الحرم الجامعى الألف . وتحدثنا عن ادارة الحرم الجامعى، وتنظيم رابطة الطلاب الاشتراكية البولندية وأخيرا الادارة الذاتية للجامعة • وكنا قد سمعنا شيئا عن هذا فى اجتماعاتنا السابقة فى بلغاريا ورومانيا •

وتتمتع الهيئات والمنظمات العامة فى مؤسسات التعليم العالى بسلطات كبيرة •• ففى هذه البلدان الثلاث يقوم الطلاب بأنفسهم بتسجيل الالتحاق ، ويضعون جداول الامتحانات أثناء الدورات ، ويراقبون المنح الدراسية ، وتوزيع السكنى

فى دور الطلبة ، كما يشتركون فى تنظيم عملية التعليم وعمل الادارة الذاتية، فى الجامعة .

وتنص الأنظمة البلغارية على أن يشكل الطلاب ٢٠٪ من أعضاء الهيئات المنتخبة ، ابتداء من الجمعية العامة للجامعة ومجلس الجامعة ومجلس المدير وحتى مجالس الأقسام . ويتم انتخابهم بالاقتراع السرى لفترة أربع سنوات . ولهؤلاء الطلاب كلمتهم على قدم المساواة فى كل شئون الكلية فيما عدا تعيين المدرسين فى الأماكن الشاغرة ، ومنح الدرجات والالقاب العلميه . ويمثل الطلاب نحو ١٥٪ من مجلس جامعة بوخارست ، ولهم نفس الكلمة التى للاعضاء من غير الطلاب فى اتخاذ القرارات . وفى المدارس العليا البولندية تعتمد الادارة على شبكة واسعة من المجالس واللجان المتخصصة المنتجة . وتتراوح نسبة الطلاب بين أعضاء المجالس التربوية للجامعات والاقسام بين ٢٠٪ و ٥٠٪ ، وتبلغ نسبتهم ٨٥٪ فى مجالس الشئون الداخلية . ورغم أن الطلاب كثيرا مايطرحون المسائل التى تثير قلقهم فى المجالس فاننا لم نسمع عن مبادرة طلابية واحدة تثير الاضطراب أو تعادى مصالح المجتمع .

والمدارس العليا فى ظل الاشتراكية ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الشعب ، وهذا أمر يختلف تماما فى بعض الكليات البرجوازية التى وضعت حواجز فى شكل امتيازات وتحيزات طبقيه . ويمارس طلاب بلغاريا ورومانيا وبولندا اشرافا على المدارس الثانوية ، ويقدمون حفلات الكونسيرت ، ويلقون المحاضرات، ويشتركون فى الحملات الانتخابية ، ويتم انتخابهم هم انفسهم نوابا فى هيئات السلطة بما فيها المجالس التشريعية العليا . ومن المستحيل ان نعدد كل اوجه نشاطهم ، لكننا لابد أن نتناول واحدا من هذه الأوجه بمزيد من التفصيل ، ونعنى به العمل أى اسهامهم فى جهود عمل الشعب المكثفة .

ان كل من زار البلدان الاشتراكية فى شهور الصيف لابد أن يعرف « موضات » الطلاب اثناء هذا الفصل . انها سترة العمل وقد علقت عليها الحروف الأولى من اسم المدرسة العليا التى ينتمى اليها الطالب « أو الطالبة » وعنوان مشروع البناء الذى يعمل فيه ، أو حتى عبارة كهذه :

« نحن ذاهبون الى سكك حديد بيكال آمور ! فماذا عنك ؟ »

وكلما بدت ملابس العمل أكثر رثاثة زاد فخر من يرتديها ، وبخاصة تلك الملابس الشائعة المليئة بأماكن لحمل الاقلام . وفى الصيف تساعد فرق الطلاب المتطوعين فى جمع المحصول ، أو يقومون بتركيب خطوط السكك الحديدية ، أو يصبون الخرسانة المسلحة فى مواقع البناء . وفى منغوليا ــ وهى وطن واحد هنا ــ تذهب مئات من فرق العمل الطلابية الى الريف ، وبخاصة الى منطقة جوبى للمساعدة فى حفر الآبار واقامة شبكات الرى، وحظائر الماشية الشتوية واقامة توسيع شبكات الخدمات والثقافة .

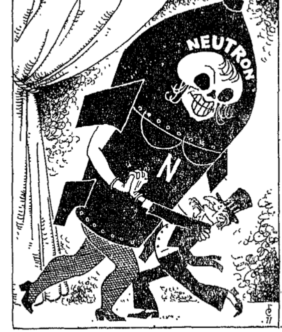
وكان هذا هو نفس الأمر فى البلدان التى زرناها • فبعد الزلزال العنيف الذى وقع في رومانيا فى الربيع الماضى عمل الطلاب باخلاص لازالة آثاره • وقد أقامت جامعة صوفيا علاقات ثابتة بمنطقة ميخايلوفجراد مركز أول انتفاضة مناهضة للفاشية • ويعمل الطلاب هناك على أساس عقود مع المزارع التعاونية والمصانع المحلية ويساعدون فى التصميم والبناء ويدرسون لهجات المنطقة وتاريخها • وفى بولندا يهتم الطلاب ــ وفق خطة سنوات خمس تعرف باسم فيلم ــ ٨٠ ــ بالتطور الاقتصادى لهذه المنطقة التى أعلنت فيها بولندا الجديدة الحرة •

وينبغى ألا نشير الى جهود العمل فحسب ، بل وكذلك الى المهرجانات ان حياة الطلاب لم تفقد أيا من سحرها أو جمالها • فبدايات العام الدراسى الجديد واحتفالات التخرج مناسبات يجرى الاحتفال بها ، وفى كل البلدان التى زرناها يحضر رؤساء الدول والسكرتيرون العامون للأحزاب الشقيقة مهرجانات الطلاب الوطنية • وفى رومانيا يقيم الطلاب الجدد ــ الذين يشار اليهم عادة باسم « بوبوك » (البط الصغير) حفلات رقص يجرى فيها اختيار « البطة الآنسة » ، وهناك أيضا أعياد « الشبيبة » والكرنفالات والمهرجانات •

ولابد أن نشير أيضا الى المسيرات التذكارية • فطلاب جامعة وارسو ينظمون مسيرة ليضعوا أكاليل الزهور على قبور الطلاب الذين قتلوا فى العمليات • ويتجمع الطلاب من كل أنحاء البلاد وهم يحملون مشاعل المجد الخالد حتى بيك أوكس للاحتفال بذكرى المآثر التى قام بها أبطال التحرير ، وليقسموا قسم الاخلاص لتقاليد الشعب الثورية •

ان المدارس العليا تغزل بعناية خيوطها ، خيوط الحياة ، خيوط الزمن • وكثير من مدرسى الجامعة فى بلغاريا ورومانيا وبولندا أناس كانوا شبابا قبل اقامة الاشتراكية ، ووهبوا شبابهم لتحويلها الى واقع • وفى بعض المناسبات الخاصة يرتدون عباءات القرون الوسطى الموشاة بالفراء ويضعون فوقها الأوسمة التى منحت لهم لمشاركتهم فى حركات حرب الانصار ، وفى المعارك ضد النازى ، ومن أجل انجازات خاصة فى الفترة الاولى من السلطة الشعبية • وتبدو الوجوه فى قاعات المحاضرات نضرة شابة • وتصوروا ، أن هؤلاء الشباب سيصلون الى النضج بعد عام الألفين ، وحتى علم المستقبل لايستطيع أن يتطلع الى هذا الزمن البعيد ، لكن على التعليم العالى أن يفعل ذلك ، فأولئك الذين بدأوا بناء الاشتراكية يعدون الجيل الصاعد الذى سيمضى قدما ليبلغ ذرى جديدة

● كاريكاتير ●



رقصة الموت — س. ستارشيكوف



أوقفوا خطر قنبلة النيوترون — د. أجاييف

●●●



قبعات حديثة لرؤوس نيوترونية — ف. فوميتشيف



جيش الدولة الاشتراكية

بقلم : أ . يبيشيف

مرت القوات المسلحة التى ولدت مع الدولة السوفييتية بطريق بطولى مجيد ، وكان لها فى كل مرحلة تاريخية وظائفها المميزة . ولن أتعرض هنا لالقاء الضوء بصورة شاملة على تاريخ قيام القوات المسلحة للدولة الاشتراكية وانما سأقتصر فقط على تحليل تطور وظائفها الذى تحدد أهميته النظرية والعلمية الظروف التالية .

- يشهد العالم الرأسمالى فى الوقت الحاضر نموا لا مثيل له للروح العسكرية . ويتطلب التهديد الدائم بالحرب من جانب الامبريالية من شعبنا أن يواصل اهتمامه الدائم بالقدرات الدفاعية للدولة السوفييتية وزيادة كفاءة قواته المسلحة . ولهذا فان الاعداد النظرى لمختلف جوانب البناء العسكرى وهيكل القوات المسلحة ووظائفها يكتسب أهمية خاصة .

ـ يجب أن نأخذ فى اعتبارنا حين نتحدث عن وظيفة الدفاع عن الاشتراكية التى تقوم بها القوات المسلحة للدولة الاشتراكية التغيرات التى حدثت فى الهيكل الاجتماعى للمجتمع والتطور السياسى الاجتماعى لبلدنا وكذلك التحولات التى حدثت وتحدث فى موازين القوى على المسرح الدولى ٠ وتنبع اتجاهات نشاط الكوادر العسكرية فى مجال زيادة درجة الاستعداد القتالى لوحدات وتشكيلات الجيش والاسطول السوفييتى ، من ادراك الدور الاجتماعى الذى تقوم به القوات المسلحة فى الظروف الحالية ٠

ـ وترجع ضرورة النظرة فى هذه المشكلة الى أن ايديولوجى الامبريالية يشنون هجمات محمومة على مبادىء الماركسية المتعلقة بوظائف جيش الدول الاشتراكية ٠ والصحافة البرجوازية مليئة بمختلف الافتراءات حول القوات المسلحة الاشتراكية محاولة بشتى الطرق تشويه جوهرها الاممى الانسانى العميق ٠

ومن المعروف أن مؤلفات ماركس وانجلز قد أبرزت المبادىء الاساسية للدفاع عن الثورة البروليتارية الظافرة ٠ وقد وضع لينين وهو يطور نظرية الثورة الاشتراكية فى ظل الظروف الجديدة الاسس العلمية لمبدأ الدفاع عن الوطن الاشتراكى ٠ ونجد فى مؤلفات لينين ووثائق الحزب الشيوعى الاجابات على الاسئلة الخاصة بجوهر الجيش ودوره الاجتماعى فى مختلف الانظمة الاجتماعية ومبادىء تنظيم القوات المسلحة فى الدول الاشتراكية وطرق مواصلة تطويرها.

ويعكس جوهر الجيش ودوره الاجتماعى حتما الطابع الطبقى للدولة نفسها ٠ فالجيش على غرار الدولة ٠ ففى الواقع نجد أن جيش الدولة البرجوازية هو الاداة الهامة التى تستخدمها الطبقات الاستغلالية فى اخضاع جماهير الشعب وفى تحقيق السياسة الخارجية الامبريالية ٠ ويقول لينين أن الجيش البرجوازى « هو أكثر الادوات تحجرا لتأييد النظام القديم وأكثر حصون النظام البرجوازى وتأييد سيطرة رأس المال صلابة » ٠ ويحتفظ وصف لينين بمدلوله كاملا حين نتحدث عن جوهر الجيوش الامبريالية المعاصرة ٠

وعلى النقيض من ذلك تظهر فى الدولة الاشتراكية قوات مسلحة جديدة من حيث المبدأ ٠ وقد أكد لينين وهو يستعير كلمات فلاحة عجوز أن بسطاء الناس يقولون الان : « لم تعد هناك حاجة الان للخوف من الرجل المسلح لانه يحمى الكادحين ولن يعرف الرحمة فى قمعه لسيطرة الاستغلاليين » ٠ وتعكس هذه الكلمات أفضل وصف لجيشنا وأهم مصادر قوته ، كما نلمس الاختلاف الجذرى بين القوات المسلحة فى مختلف النظم الاجتماعية ٠

وتحدد الطريقة السائدة للانتاج والعلاقات الاجتماعية والايديولوجية القائمة فى المجتمع ، طبيعة جيش كل دولة . والجيش ماهو الاتنظيم مسلح فى الدولة مهمته هى تحقيق أهداف سياسية معينة بالطرق العسكرية ٠ وقد كتب لينين

في معرض نقده للمزاعم القائلة بأن الجيش محايد بالنسبة للمصالح السياسية لمختلف الطبقات ، يقول : « لايمكن أن تكون القوات ولم تكن ولن تكون محايدة أبدا » • ولهذا بالذات فان سياسة الطبقات المسيطرة ومصالحها هي التي تحدد طابع الجيش واتجاهه الاجتماعي وطرق « استخدامه » • وتتسم الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة بخصائص متناقضة تماما للجوهر الطبقي للجيوش • فالجيش بالنسبة للدول الاشتراكية هو أداة الدفاع عن الاشتراكية من الهجوم الخارجي ، أما بالنسبة للدول الامبريالية فهو وسيلة للعدوان وقمع انتفاضات الكادحين النورية •

وبهذه الصورة نجد أن وظائف الجيش والاتجاهات الرئيسية لنشاطه التي تعكس مكان ودور الجيش داخل البـــلاد وفي المجال الدولي كذلك ، تنبع من جوهره الطبقي ومهمته الاجتماعية •

والتحليل الجدلي لوظائف الجيش يفتح لنا السبيل لادراك حقيقة التنظيم العسكري كله في المجتمع بوصفه أداة للطبقات المسيطرة تستخدمه ضد أعدائها في أشكال تنبع من الظروف التاريخية ولتحقيق مهام ترتبط بنفس الظروف وكذلك فان الكشف عن مضـــمون وظائف الجيش الاشتراكي يتطلب كذلك منطلقا تاريخيا مجددا • ان وظائف الجيش لاتبقى دون تغيير ، مثله تماما ، بيد أن تغيرها وتطورها تحددهما أسباب اجتماعية جذرية •

ويحقق الجيش بوصفه أداة للدولة المهام السياسية الاجتماعية المحددة أمامه بالوسائل الخاصة • ولذلك فان وظائفه جــزءا لايتجــزأ من وظائف الدولة • وتتغير وظائف الجيش بتغير وظائف الدولة •

ويقوم الجيش في الدولة الامبريالية بوظيفتين رئيسيتين : وظيفــة داخلية وأخرى خارجية • وجوهر الوظيفة الداخلية هو قمع الحركات الشعبية وأي من أشكال الحركة الثورية داخل البلاد والتي تستهدف تحرير جماهير الكادحين من الظلم الاجتماعي والقضاء على نظام الاستغلال • ويقوم الجيش بتنفيذ ارادة الحكومة والطبقات الاستغلالية التي ورائها و « يفرض النظام » بقوة السلاح في البلاد • ويعرف التاريخ العديد من الامثلة حيث أغرقت الطبقات الاستغلالية باستخدام « مؤسساتها العسكرية » الحركات التقدمية الثورية في بحر من الدماء دون أن تتورع عن استخدام أعنف الوسائل والطرق اللاانسانية • وليس مصادفة أن يرى كلاسيكيو الماركسية اللينينية ، وهم يعدون نظرية الثــورة الاشتراكية في تقويض المؤسسة العسكرية البرجوازية والقضاء على وظائف الدركي التي تقوم بها في قمع الكادحين واستبدالها بجيش جديد ، أن هذا من بين أهم مهام الثورة ، غير أنه يجدر التنويه بأن جيش الدولة البرجوازية أو جزء منه يمكن أن يقف الى جانب الشعب ويهب للدفاع عن منجزاته الديموقراطية وذلك مع توافر وضع ثوري وظروف معينة •

والوظيفة الخارجية لجيش الدولة الامبريالية هى الاستيلاء على أراضى الغير بهدف مضاعفة ثروات الطبقات المسيطرة وتوسيع نطاق اضطهادها للشعوب الاخرى ، وتصدير الثورات المضادة ، وقمع حركات التحرر الوطنى . ولقد أشعلت الامبريالية فى فترة ما بعد الحرب وحدها أكثر من ٣٠ حربا وصداما مسلحا تسعى بواسطتها الى عرقلة العملية الثورية العالمية وتدعيم مواقفها المتزعزعة ، وضرب النظم والحركات التقدمية والرجوع بعجلة التاريخ الى الوراء . وتحمل الروح العسكرية للولايات المتحدة بين طياتها اخطارا كبيرة بصفة خاصة بالنسبة لقضية السلام والاشتراكية .

ويقوم جيش الدولة الاستقلالية بهاتين الوظيفتين ، الداخلية والخارجية ، طوال تاريخ المجتمع الطبقى . وهذه هى وظائفه الايديولوجية فى الوقت الحالى كذلك . و « الجديد » هنا هو أن الدولة الامبريالية تعمل على اخفائها الان بستار كثيف من الديماجوجية و « التدليك النفسى » وتزوير الاسباب الحقيقية للحرب وأهدافها .

أما القوات المسلحة للدولة الاشتراكية فتقوم بوظائف مغايرة تماما . تجد دولة دكتاتورية البروليتاريا بانتصار الثورة البروليتاريا وبداية بناء المجتمع الجديد نفسها أمام مهام تقضى بتحقيق الانتصار الكامل على الطبقات الاستغلالية التى أطيح بها وكسر مقاومتها والدفاع عن مكتسبات الثورة ضد العدو الخارجى ولا يمكن أن تحقق الدولة الاشتراكية هذه المهام الا بالاستناد على القوة المسلحة التى تضطر لاستخدامها لضمان أمن بناء الاشتراكية .

وبالتالى فان توزيع القوى الطبقية داخل البلاد بعد انتصار الثورة مباشرة والظروف الدولية الطارئة ، تجعل لجيش الدولة الاشتراكية وظيفتان كذلك : وظيفة داخلية وأخرى خارجية . غير أن جوهرهما واتجاههما الاجتماعى ونتائجهما تختلف جذريا عن وظائف جيوش الدول البرجوازية . ويحقق جيش الدولة الاشتراكية بقيامه بهاتين الوظيفتين مهمته التاريخية فيحمى أكثر النظم الاجتماعية عدالة فى التاريخ ، أى النظام الاشتراكى ، ويدافع عن مصالح الطبقية للبروليتاريا والكادحين عامة .

وقد أكد لينين وهو يدرس تجربة الحركات الثورية ونضال الكادحين ضد مضطهديهم أن أية حركة ثورية لاتساوى شيئا الا اذا كانت قادرة على حماية نفسها . وتؤكد التجربة العملية التاريخية أن عدم تقدير القضايا العسكرية تقديرا كاملا أو ضعف القوات المسلحة فى الحركة الثورية يؤديان حتما الى هزيمتها .

وهكذا نجد أن قيام جيش الدولة الاشتراكية بهاتين الوظيفتين يرتبط بالضرورة التاريخية لتدعيم الاشتراكية وخلق الظروف المواتية لتطورها . وبكلمات أخرى فالدفاع عن الاشتراكية هو قانون طبيعى عام للثورة الاشتراكية

مهما كان الشكل الذى تمت به • وهذه قضية مصير الثورة ومستقبل جماهير الكادحين • ان الاخطاء وأوجه القصور وعدم التقدير الكامل فى هذه الناحية ، محفوفة بعواقب وخيمة •

غير أن قيام جيش الدولة الاشتراكية بوظائفه له نوعيته الخاصة • فمن الممكن منذ البداية ، كما تثبت الحقائق التاريخية ، ملاحظة الاتجاه نحو الذبول التدريجى للوظيفة الداخلية • فلم تستخدم القوات المسلحة لبلادنا فى المجال الداخلى بعد انتهاء الحرب الاهلية الا بطريقة عرضية وفى نطاق محدود « حتى الثلاثينات » • فقد استخدمت فى ضرب فصائل الجيش الابيض التى لم يكن قد تم القضاء عليها ، وكذلك عصابات الكولاك والباسماتشى والفتن المضادة للثورة وغير ذلك من الحركات المسلحة المعادية للاشتراكية • وبكلمات أخرى فقد تجبر مقاومة القوى الاجتماعية للعالم القديم ، والتى تتجسد فى شكل حركات مسلحة ضد النظام الجديد ، البروليتاريا على استخدام القوة المسلحة ضد الاعداء الطبقيين •

وبالتالى فان قيام الجيش الاشتراكى بالوظيفتين لايمثل سوى مرحلة تاريخية معينة فى قيام التكوين الشيوعى ، هى فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وحدها • غير أن عملية ذبول الوظيفة الداخلية للجيش واختفائها بالتدريج تتوقف على الظروف التاريخية المحددة وخصائص تطور كل بلد •• ويؤكد برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى أن « هذا التطور لايسير وفق خط مستقيم • فمن الممكن أن تزداد حدة الصراع الطبقى نتيجة التغيرات التى تحدث فى الموقفين الداخلى والخارجى ولذلك يجب أن تكون هناك يقظة دائمة لقطع الطريق فى الوقت المناسب على دسائس كل من القوى المعادية الداخلية والخارجية ••• » ومن الممكن أن يظل خطر تحرك القوى المعادية داخل البلاد كامنا طالما بقيت فلول الطبقات الاستغلالية التى ضربت والتى تعمل الامبريالية على تقديم التأييد الشامل لها من الخارج • وتضطر القوات المسلحة للدولة الاشتراكية فى ظل هذه الظروف الى القيام بوظيفتها الداخلية للقضاء على محاولات ترميم الرأسمالية • ولذلك تظل هذه الوظيفة موجودة فترة معينة ولكن مع الاتجاه نحو الذبول •

وبهذه الصورة نجد أن جيش الدولة الاشتراكية يفقد بالتدريج وظيفته الداخلية نتيجة لزيادة النضج الاجتماعى للمجتمع • ويتجلى هذا القانون الطبيعى بوضوح فى تطور القوات المسلحة السوفييتية • فقد أدت الانجازات الهائلة فى البناء الشيوعى والتحولات النوعية الكبيرة وتدعيم الوحدة الفكرية والسياسية للشعب السوفييتى الى تغييرات هيكلية فى مجتمعنا • وتحولت دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة لمجموع الشعب تتسم بوحدة متراصة عظيمة بين الشعب والجيش الذى يعتبر من الجماهير الكادحة واليها • وليست هناك حاجة فى المجتمع الاشتراكى المتطور الى الوظيفة الداخلية للجيش وذلك لعدم وجود الفئات الاجتماعية التى ينبغى استخدام القوة المسلحة ضدها • ولذلك فان الاتحاد السوفييتى ، كما يقول برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى ،

« لا يحتاج الى الجيش من وجهة نظر الظروف الداخلية » .

ومن الطبيعي فان جيش الدولة الاشتراكية وحده هو الذى يمكنه أن يفقد وظيفته الداخلية · أما جيوش المجتمعات الاستغلالية فلا تحتفظ فقط بوظيفتها الداخلية بل وتقويها ـ أى وظيفة قمع جماهير الكادحين ·

ومع فقدان الوظيفة الداخلية لايمثل جيشنا سوى أداة للدفاع المسلح عن الاشتراكية المنتصرة نظرا للتهديد المسلح الدائم من جانب الامبريالية · ويخضع كل نشاط قواتنا المسلحة للقيام بهذه الوظيفة الخارجية · ويتخذ الاتحاد السوفييتى ، فى الوقت الذى يتبع فيه سياسة خارجية لينينية تمزج بين ردع العدوان الامبريالى وبين الخط البناء للتعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، يتخذ الاجراءات الهادفة الى الحفاظ على قدراته الدفاعية والاستعداد القتالى للقوات بحيث تكون فى مستوى يضمن أمن الدولة الاشتراكية . وينبغى أن تظل مهمة الزيادة الشاملة للقدرات الدفاعية لوطننا وتربية الشعب السوفييتى بروح اليقظة العالية والاستعداد الدائم للدفاع عن المنجزات العظيمة للاشتراكية ، من بين أهم مهام الحزب والشعب · ان الدعم الدائم لجيشنا ضرورة حيوية وقانون موضوعى للبناء الناجح للاشتراكية والشيوعية · وتنبع هذه الضرورة من طبيعة التطور الاجتماعى المعاصر وخصائص الصراع الطبقى بين الرأسمالية والاشتراكية ·

غير أن الدفاع عن الاشتراكية لايقتصر فقط على المجال العسكرى ولا يتم بالوسائل العسكرية وحدها · انه يشتمل على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية : الاقتصاد والثقافة والسياسة والايديولوجية · ويكفي القول بأن الجهود العسكرية كانت دائما ولاتزال تستند على الامكانيات الاقتصادية والسياسية والمعنوية والعلمية · ولم يكن انتاج المعدات العسكرية والاسلحة الحديثة ممكنا فى بلادنا الا على أساس الانجازات الكبيرة للاقتصاد الاشتراكى والعلوم والتكنولوجيا · ويعزز استمرار تدعيم الوحدة السياسية المعنوية لمجتمعنا ، ووحدة الشعب والجيش ، العامل السياسى المعنوى للقوات المسلحة واستعدادها الروحى وقدرتها على القتال والنصر ·

لقد ازداد عمق الوظيفة الخارجية للقوات المسلحة السوفييتية فى الوقت الحاضر الذى يتميز بتدعيم مراكز الاشتراكية والمجابهة الحادة بين النظامين الاجتماعيين · ويقدم لنا عمق وتنوع المهام التى تقوم بها القوات المسلحة السوفييتية الاساس لابراز عدة اتجاهات يتم فيها القيام بالوظيفة الخارجية ·

الاتجاه الاول هو ضمان أمن الدولة السوفييتية وخلق الظروف الملائمة للعمل الخلاق لشعبنا . ويقوم الجيش بهذه المهمة فى وقت السلم عن طريق الاحتفاظ بحالة الاستعداد القتالى الدائم لصد أى هجوم محتمل للمعتدى وقطع الطريق بحزم على العمليات الاستفزازية من جانب الامبريالية وتستهدف بها بلدنا ·

وتحرس القوات المسلحة الحدود البرية والبحرية والجوية للاتحاد السوفييتي من تغلغل العناصر المعادية التي يمكنها الاضرار بالقدرات العسكرية أو الاقتصادية للدولة السوفييتية • وللنوبات القتالية لوحدات الصواريخ والاستعداد القتالي لسفن الاسطول والغواصات أهمية خاصة من بين انواع نشاط القوات المسلحة • هذا ماتتضمنه في الواقع وظيفة حماية الوطن الاشتراكي في وقت السلم •

وفي حالة الهجوم المسلح على البلاد يدافع الجيش بالسلاح عن وطنه ويخوض حربا عادلة ثورية بروليتارية طبقية من حيث الجوهر • وهذا ماتحدده الاهداف التقدمية الثورية التي تتناقض بصورة مباشرة مع أهداف الامبريالية الاغتصابية التوسعية • ويمكن للشعب السوفييتي أن يكون على ثقة من أن قواتنا المسلحة المجيدة على استعداد لردع أي هجوم للعدو مهما كان مصدره . وعلى أي عدو محتمل أن يدرك انه سيلقى ضربة رادعة في أية محاولة للهجوم على بلدنا .

ونتيجة لخروج الاشتراكية عن اطار دولة واحدة وقيام النظام الاشتراكي العالمي يظهر ويتطور اتجاه آخر في وظيفة القوات المسلحة السوفييتية يقضي بضمان أمن دول الاسرة الاشتراكية بصورة عامة • وتقوم كل الجيوش الاشتراكية بهذه المهمة بجهودها المشتركة • ولذلك فان التضافر المترامي للدول الاشتراكية التي توحد وتنسق بصورة شاملة كل جهودها ليس فقط في المجالين السياسي والايديولوجي بل والعسكري كذلك ، ضروري لمواصلة احباط الاهداف العدوانية للامبريالية • وهذه الجهود الجماعية لتدعيم الدفاع ورفع القدرات القتالية للقوات المسلحة ضرورية موضوعيا • فيجب أن تجابه قوة مسلحة اشتراكية دولية القوة المسلحة للرأسمالية الدولية •

وتبني الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الشقيقة الدفاع المسلح عن الاشتراكية على أساس الجهود المشتركة لشعوبها في ظل الظروف التاريخية الجديدة متبعة في ذلك التعاليم اللينينية حول حماية الوطن الاشتراكي • واكتسبت حماية الاشتراكية في الظروف المعاصرة طابعا أمميا صريحا • فتجد الامبريالية في مواجهتها الان نظاما اشتراكيا قويا له موارده وامكانياته المادية التي لا تنضب . وتتيح وحدة الهدف والايديولوجية والامية البروليتارية للبلدان الاشتراكية اتباع سياسة خارجية منسقة ، وتدعيم الصداقة والاخاء وردع محاولات الامبريالية ردعا حاسما .

ان الدعم الشامل للقدرات الدفاعية لدول الاسرة الاشتراكية هو قضية أممية مشتركة لكل دول هذه الاسرة . ولكن الواقع التاريخي جعل الاتحاد السوفييتي بوصفه اقوى دولة اشتراكية يتحمل العبء الرئيسي لهذه الجهود العسكرية . وتخدم القدرات العسكرية للاتحاد السوفييتي قضية الامن الجماعي للشعوب المتحالفة . ويقدم الجيش

السوفييتى مساعدات شاملة للجيوش الشقيقة فى رفع مستوى الاعداد القتالى لقوانها على الدوام .

لقد تجسدت السياسة الاممية للاحزاب الماركسية اللينينية فى الدول الاشتراكية ، فى مجال الدفاع المسلح فى منظمة اتفاقية وارسو « حلف وارسو » ، والتى تمثل اتحادا دفاعيا اختياريا للدول الاشتراكية الاوربية يقف لحماية المنجزات الثورية لشعوب هذه البلدان منذ فترة طويلة. وتقضى الاتفاقية بالعمل المشترك لجيوش البلدان الشقيقة لردع أية محاولات للهجوم من جانب الامبريالية .

وبهذه الصورة فان قيام الجيوش الاشتراكية بوظيفة حماية الاشتراكية من العدو الخارجى هو قانون طبيعى موضوعى لتطور الاشتراكية فى كل بلد مثل تطور النظام الاشتراكى العالمى ككل . ولقد تطورت فى السنوات الاخيرة منظمة اتفاقية وارسو العسكرية، كما تواصل تدعيم كيانها نتيجة الاعداد الجماعى لعدد من الاجراءات وتنفيذها .

ولا يمكن الا نلمس أن القدرة العسكرية للاشتراكية تساعد موضوعيا على نجاح تطور الحركات الثورية والتحررية وتعوق تصدير الثورات المضادة . وفى هذا أحد المظاهر الهامة للوظيفة الخارجية للقوات المسلحة للدولة الاشتراكية .

ان حماية النظام الاشتراكى التقدمى وضمان قيام وتطور التكوين الاقتصادى الاجتماعى الشيوعى يعتبر مساعدة هائلة لكادحى العالم باسره فى قضية تحررهم الاجتماعى والوطنى . فهم يرون فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الشقيقة الاخرى مستقبلهم والمثل الذى يناضلون من أجله ،وحصن العدالة الاجتماعية الشامخ . ويضفى كل ذلك الروح الثورية على الجماهير الشعبية ويساهم فى النهوض بالنضال المعادى للامبريالية وتضامن الجيش السياسى للثورة البروليتارية . وشعوب العالم تعرف المساعدات الشاملة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى لحركات التحرر الوطنى ، والنظم التقدمية والدول الفتية التى تناضل ضد الظلم الامبريالى ، وكذلك مساعداته فى تطورها على طريق الاستقلال والتقدم .

وتعتبر القدرات الاقتصادية والدفاعية للاتحاد السوفييتى بصورة أو باخرى سندا قويا للشعوب الثورية فى نضالها ضد التدخل الامبريالى فى شئون البلدان التى هبت لخوض الحرب التحريرية ضد العنف الأجنبى وضد الاستعمار والظلم الاجتماعى .

وهكذا فالجيش السوفييتى بحمايته للعمل السلمى للشعب السوفييتى،

والأسرة الاشتراكية يساهم موضوعيا فى نجاح نضال الطبقة العاملة الدولية وحركة التحرر الوطنى .

وقد كان الحزب الشيوعى السوفييتى على الدوام ضد ما يسمى بتصدير الثورة وذلك استرشادا بالنظرية الماركسية اللينينية . غير أن أعداء الشيوعية يؤكدون زاعمين أن الحركات الثورية للكادحين وحركات التحرر الوطنى فى أى من أنحاء العالم هى نتيجة « لدسائس موسكو »، وأن الجيش الاشتراكى على حد زعمهم من بين وسائل تصدير الثورة ، حيث تغرس الاشتراكية بواسطته فى البلدان الاخرى بالعنف . والعجيب فى الامر انهم يرددون هذه المزاعم فى الوقت الذى يعلم فيه العالم اجمع ان الشعب السوفييتى قد انقذ الحضارة العالمية من الطاعون الاسود بنضاله البطولى ضد الفاشية ، وان المهمة التحريرية للجيش السوفييتى فى سنوات الحرب العالمية الثانية قد ساعدت الكثير من الشعوب على الحصول على حريتها ، وخلقت المقدمات الضرورية للثورات الديموقراطية والاشتراكية التى قامت بها الطبقة العاملة بهذه البلدان فى ظروف نضج الموقف الثورى هناك .

ولا يمكن ان تؤدى تلفيقات الايديولوجيين البرجوازيين الى تضليل من له معرفة من قريب او بعيد بقوانين التطور الاجتماعى . ان حركة التاريخ لا رجعة فيها ولا يمكن العودة بالتاريخ الى الوراء . ولا يمكن بأى حال من الاحوال «المجىء» بالثورة الاشتراكية الى أى من البلدان والقيام بها بقوى خارجية أجنبية وهو مانؤكده الواقع التاريخى فى القرن العشرين . فالثورة نتيجة طبيعية للتطور التاريخى لكل بلد ولا تنتصر الا بنضوج الظروف الملائمة لذلك .

ومن الواضح الى جانب ذلك انه يستحيل « حظر » الثورة ، كما يستحيل كبح العملية التاريخية الموضوعية . وانطلاقا من هذا القانون الراسخ يعتبر شيوعيو كل بلد ان واجبهم الاممى هو تقديم المساعدات الشاملة للحركة الثورية العالمية . وهم على وعى بان قوة النظام الاشتراكى العالمى عامل هام يساعد على منع تدخل البرجوازية الدولية عسكريا وتدخلها كذلك فى الشئون الداخلية لشعب اى بلد هب للثورة .

وفى ظل الوضع الراهن حيث تحاول الامبريالية بكل قواها كبح العملية الثورية العالمية وخنق حركة التحرر الوطنى ، ترى الدول الاشتراكية واجبها فى التأييد الاممى للشعوب التى تدافع عن استقلالها . ولا ترتبط هذه المساعدات بأى حال من الاحوال بأى شكل من الاشكال فرض نمط معين للحياة على الشعوب الاخرى ، فهى مساعدات اممية اخوية للشعوب المضطهدة التى هبت للنضال من أجل التحرر الاجتماعى . وحتى فى تلك

الفترة التى كان الاتحاد السوفييتى الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم ومحاصرا بالقوى الرأسمالية ، كما كان عليه توجيه الأهتمام لتدعيم دفاعه بالدرجة الاولى ، كان الشعب السوفييتى يتقاسم بصورة أخوية الوسائل الماديه والخبرة العسكرية مع الشعوب الاخرى .

تجلت الرسالة التحريرية للجيش السوفييتى بأوضح صورهافى سنوات الحرب العالمية الثانية . فقد خلقت القوات السوفييتية باسهامها بنصيب حاسم فى سحق المؤسسة العسكرية الفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية، خلقت بانتصاراتها ظروفا ملائمة الى حد بعيد لنمو حركة التحرر ممـــا أدى الى وقوف عدد من بلدان اوربا واسيا على طريق التطور الحر ثم ادى بها هذا الطريق الى الاشتراكية موضوعيا . فقد تم فى هذه البلدان تحطيم قوى الرجعية الداخلية المتعاونة مع الفاشية . وأعاقت القوات السوفييتية تصدير الثورات المضادة الى هذه البلدان بحمايتها من التدخل الاجنبى . وفى هذا يكمن الفضل التاريخى العظيم للقوات المسلحة السوفييتية تجاه النظام الاشتراكى العالمى وتجاه كل البشرية التقدمية .

لقد ازدادت فى الظروف المعاصرة امكانيات الاتحاد السوفييتى فى تقديم التأييد للكادحين والحركة الثورية وحركة التحرر الوطنى . وتسهم الدولة السوفييتية بنصيب لايقدر فى نضال الشعوب من أجل الحرية والاستقلال وذلك عن طريق ردع الدعاوى العدوانية للامبريالية ضد الدول النـــامية الفتية ، وتقديم المعدات الضرورية لها تلبية لطلب حكوماتها ، ومساعـــدة هذه البلدان فى اعداد كوادرها القومية .

وتزداد فى الوظيفة الخارجية لجيش الدولة الاشتراكية أهمية الاتجاه الذى يقضى باحباط الخطط العدوانية للامبريالية الدولية ومنـــع نشوب حرب عالمية جديدة . وتنعكس فى ذلك المهمة التاريخية للدول الاشتراكية فى الدفاع عن السلام فى العالم اجمع وما يرتبط به من سياسة التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

وهكذا تتضح امامنا صورة ذات دلالة خاصة . فقد اصبح الجيش الذى كان طوال تاريخ مجتمع التناقضات اداة للحروب التدميرية التخريبيـــة الاغتصابية ، أصبح فى ظل الاشتراكية اداة لمنع نشوب الحرب وعاملا من اهم عوامل الحفاظ على السلام .

ان القوة العسكرية لجيش الدولة الاشتراكية موجهة براس حربتها ضد القوى التى تولد العدوان والحرب .

ويدرك التقدميون فى العالم أن الحروب التى أجبرت قواتنا المسلحة على خوضها كانت حروبا من أجل قضايا عادلة وضد الروح العسكرية والعدوان الامبريالى . واصبح كل ذلك ممكنا لان التنظيم العسكرى الجديد الاشتراكى يوجد لا فى ايدى الطبقات الاستغلالية التى تتميز بسياسة اغتصاب اراض وثروات الغير ، وانما فى ايدى الطبقة العاملة وكل الكادحين ، أى الطبقات والفئات الاجتماعية التى تعتبر الحروب وسياسة استعباد الشعوب الاخرى غريبة عنها بطبيعتها .

هذه هى الاتجاهات الرئيسية للوظيفة الخارجية لجيش دولة المجتمع الاشتراكى المتطور .

ويسعى الايديولوجيون البرجوازيون بشتى الطرق الى تشويه اهم المبادىء النظرية للتعاليم الماركسية اللينينية حول الحرب والجيش، وجوهر جيش الدولة الاشتراكية ووظائفه ودوره الاجتماعى . ويركزون جهودهم الرئيسية على تشويه اهمية الدور القيادى للحزب الشيوعى السوفييتى فى البناء العسكرى . وليس هذا من باب المصادفة . فكم يود ايديولوجيو معاداة الشيوعية عن طريق تزوير الحقائق والافتراءات اضعاف دوره القيادى فى المجال العسكرى وذلك لعلمهم بالدور الهائل الذى يقوم به حزبنا فى كل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد .

ولكن الحياة والواقع الاجتماعى يكشفان القناع عن افتراءات ايديولوجيى البرجوازية ويفندان البراهين المختلفة لاصحاب نظريات الامبريالية . ويرجع ازدياد دور الحزب الشيوعى والاهمية الكبيرة لقيادته على اساس علمى لكل مجالات الحياة الاجتماعية الى تعقد العمليات التى تجرى فى المجتمع الاشتراكى واتساع نطاق البناء الشيوعى وسرعة معدلات بناء المجتمع الجديد . ويتطلب كل ذلك بعد رؤية نظرية ومرونة ديالكتيكية ومبدئية طبقية وهو مالا يقوى عليه سوى الحزب اللينينى وحده. وينطبق ذلك أيضا على المجال العسكرى . ان النجاح فى تنفيذ المهمة الرئيسية للقوات المسلحة للاشتراكية ، وهى الاستعداد القتالى الدائم ، لا يمكن أن يكون الا على أساس التحقيق الكامل لتوجيهات وقرارات الحزب وقيادته النضالية ، أى اللجنة المركزية اللينينية .

ويرتبط ازدياد دور واهمية قيادة الحزب فى البناء العسكرى بمسائل

ذات طابع علمى تكنولوجى الى جانب الاسباب الاخرى . والحديث يدور هنا حول نتائج ثورة العلم والتكنولوجيا التى لا مثيل لها من حيث المدى والعمق . فقد كان من المهم بصفة خاصة فى الظروف الجديدة تحديد اتجاهات التطور العسكرى التكنيكى فى المستقبل وتحديد الموازنة السليمة بين مختلف عناصر هيكل الجسم العسكرى الواحد وتقدير نتائج احدث انجازات العلم والتكنولوجيا وذلك انطلاقا من القاعدة النظرية للماركسية اللينينية . وبفضل اهتمام الحزب بالذات والجهود البطولية للشعب عامة نجد ان الجيش والاسطول السوفييتى مزودان اليوم بأحدث وسائل خوض الحروب . والى جانب ذلك يعمل الحزب على ان يصاحب عملية تطوير قاعدة معدات الجيش تطبيق الاسس العلمية فى كافة مجالات النشاط العسكرى على نطاق واسع . لقد أصبح العلم فى الواقع الآن من بين أهم مكونات القدرات القتالية للقوات المسلحة .

والشعب والجيش فى مجتمعنا تربط بينهما وحدة وثيقة ، وتتسم التربية الفكرية لكل الكادحين بما فى ذلك الجنود السوفييت على أساس واحد هو الماركسية اللينينية وتحت قيادة الحزب الشيوعى . ويتأتى على الحزب فى هذا النشاط الاخذ بعدد من الظروف الهامة ، وفى مقدمتها ان صفوف الجيش فى السنوات الاخيرة تتالف من بين الشباب الذين ولدوا فى الفترة التى كانت البلاد قد ضمدت جراحها الناتجة عن الحرب بصورة أساسية ، والمنضمون الى صفوف القوات المسلحة ليست لديهم خبرة سابقيهم . والى جانب ذلك تتميز المرحلة الحالية باتساع مدى الحرب الفكرية التى شملت العالم أجمع حيث تعتبر الجبهة الايديولوجية جبهة عاملة باستمرار وقطاعا حادا للصراع بين الراسماليه والاشتراكية.

ويرى الحزب الشيوعى السوفييتى فى الجنود السوفييت وطنيين أوفياء للوطن الاشتراكى يؤمنون بالأممية وقادرين على القيام بواجبهم فى الدفاع عن المنجزات العظيمة للاشتراكية حتى النهاية .

●

٢٣ فبراير
عيد الجيش السوفيتى

دور القوات المسلحة في تحطيم الفاشية

بقلم : أ. كوركيشكين

كان أول اجراء تشريعى أعلن تشكيل الجيش الاحمر الجديد للعمال والفلاحين في روسيا السوفييتية هو الوثيقة التى كتبها ف ٠ ا ٠ لينين ((اعلان حقوق الشعب الكادح والمستغل)) ٠

وقد جاء فيها ((٠٠٠ من اجل ضمان وجود السلطة بشكل كامل فى أيدى الجماهير الكادحة ، ولمنع أية فرصة لاستعادة الاستغلاليين لسلطتهم ، يعلن تسليح الكادحين ، وتشكيل الجيش الاحمر الاشتراكى للعمال والفلاحين ، وتجريد الطبقات المالكة من أسلحتها بالكامل)) ٠ وفى ١٥ يناير وقع لينين ، رئيس الحكومة السوفييتية ــ مجلس مفوض الشعب ، مرسوم تشكيل جيش العمال والفلاحين الاحمر ٠ وأصدر مجلس مفوض الشعب فى ٢٩ يناير قرارا بشأن تنظيم الاسطول الاشتراكى الاحمر للعمال والفلاحين٠

وفي هذه الايام كان يخيم على جمهورية السوفييتيات الفتية خطر ماحق • ففي ١٨ فبراير ١٩١٨ ، شنت قوات قيصر المانيا ، هجوما على طول الجبهة الروسية الالمانية خارقة بذلك شروط اتفاقية الهدنة التي عقدت في ٢ ديسمبر ١٩١٧ • وكانت الضربة الرئيسية موجهة على محور بتروجراد • اما حسابات القيادة الالمانيه فكانت مبنية على أساس الاستيلاء بسرعة على مهد ثورة اكتوبر الاشتراكية ـ بتروجراد ، والتوصل لتحقيق الهدف الرئيسي ـ اسقاط السلطة السوفييتية في روسيا •

وهنا تتخذ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والحكومة السوفييتية وعلى رأسها لينين اجراءات استثنائية عاجلة لتنظيم ردع العدو • الا أن القوات الالمانية استمرت في زحفها مستغلة في ذلك تفوقها العددي والفني وفي ٢١ فبراير توجه مجلس مفوض الشعب بندائه « الوطن الاشتراكي في خطر ! » الذي كتبه لينين واستنفر العمال والفلاحين للدفاع المستميت عن جمهورية السوفييتيات •

واستجابت الطبقة العاملة لنداء الحزب الشيوعي والحكومة السوفييتية بسيول من المتطوعين في صفوف الجيش الاحمر ، وانعقدت اجتماعات عامة بالالاف المؤلفة في يومي ٢٢ و ٢٣ من فبراير في بتروجراد ، وموسكو وغيرهما من المدن • وأعلن مجلس سوفييت بتروجراد يوم ٢٣ فبراير كيوم للدفاع عن الوطن الاشتراكي وتعبئة الاحتياطي الجماهيري للمتطوعين في الجيش الاحمر • وفي البلاد كلها ، وخصوصا من المدن الكبرى والمناطق المتاخمة للجبهة ، تشكلت على عجل الافواج والفصائل الثورية وأرسلت الى المعارك ، وأصبحت المقاومة التي يواجهها العدو أكثر عنادا • واشتعلت على طول الجبهة معارك ضارية •

أما الجيش الاحمر الذي كان قد تشكل لتوه ، فأخذ يظهر منذ أولى معاركه بسالة وثباتا استثنائيين •

وسرعان ما أوقف الامبرياليون الالمان الاعمال الحربية بعد ان تأكدوا من العزم الاكيد لكادحي روسيا السوفييتية على الذود بأي ثمن عن الحرية التي اكتسبوها • وفي الثالث من مارس ١٩١٨ تم في بريست التوقيع على معاهدة الصلح •

وتخليدا للنهضة الجماهيرية للشعب السوفييتي دفاعا عن الوطن الاشتراكي ، وللمقاومة البطلة التي أبدتها فصائل الجيش الاحمر في وجه الغزاة الالمان يحتفل بيوم ٢٣ فبراير من كل عام ، عيدا للجيش السوفييتي وكان يسمى عيد الجيش الاحمر حتى ١٩٤٦ •

دور القوات المسلحة السوفييتية فى تحطيم الفاشية

● فى الحرب العالمية الثانية :

فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ هاجمت المانيا الفاشية الاتحاد السوفييتى بغدر ودون اعلان حرب • وهكذا بدأت الحرب الوطنية العظمى • وقد كانت حربا عادلة من أجل الحرية والاستقلال ضد أعنى اعداء الاشتراكية • ان الفاشية الالمانيه التى كانت تمثل دكتاتورية صريحه لاكثر دوائر راس المال الاحتكارى عدوانية ، شنت فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ الحرب على الاتحاد السوفييتى بهدف القضاء على أول دولة اشتراكية فى العالم وبهدف استعباد الشعب السوفييتى ، وفتح الطريق امام السيطرة على العالم •

لقد اعتبرت الحرب الوطنية العظمى جزء « مكونا » للحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ وانتهت بالهزيمة الساحقة لالمانيا الهتلرية واليابان الأمبريالية ، الفصيلتين الضاربتين للامبريالية العالمية ، وحصن أظلم قوى أوربا وآسيا وأكثرها رجعية • وفى هذه الحرب التى كانت اكثر حروب تاريخ البشرية كله اسالة للدماء واكثرها تدميرا ، ذاد الاتحاد السوفييتى عن المكتسبات الاشتراكية ، وعن النظام الاجتماعى التقدمى ، ودافع عن حريته واستقلاله •

لقد جذبت الحرب العالمية الثانية الى مدارها غالبية دول الكرة الارضية اذ شارك فيها ٦١ دولة ، بلغ تعداد سكانها ١٧٠٠ مليون نسمة ، أى ثلاثة أرباع البشرية جمعاء •

وتحملت الدول التى شاركت فى الحرب خسائر بشرية ومادية فادحة • وكان ما أصاب الاتحاد السوفييتى من هذه الخسائر كبيرا بنوع خاص ، اذ وقع عليه العبء الرئيسى فى النضال ضد ألمانيا الهتلرية • وفقد الشعب السوفييتى ٢٠ مليون شخص استشهدوا مما يشكل ٤٠٪ من كل الخسائر البشرية فى الحرب العالمية الثانية • كما تقدر خسائر الاتحاد السوفييتى المادية اجماليا بـ ٢ر٦ تريليون روبل ، أى ٦٥٪ من كل ماتحملته البشرية من مصروفات وخسائر فى هذه الحرب •

وتم احراز النصر على المانيا الفاشية وحلفائها بالجهود المشتركة لدول التحالف المعادى للفاشية ، ولكل الشعوب التى ناضلت المحتلين وخدامهم • ولكن الاتحاد السوفييتى وقواته المسلحة ، لعبت الدور الحاسم فى تحطيم الفاشية الالمانية والامبريالية اليابانية • فما أن هاجمت المانيا الفاشية الاتحاد السوفييتى ، حتى تغير الطابع السياسى للحرب العالمية الثانية التى اتخذت فى المقام الاول شكل الصراع الطبقى الحاد بين النظامين الاجتماعيين

ـ الرأسمالية والاشتراكية . وهذا ما حدد الطابع الضاري الذي لا يقبل الحلول الوسط للمعارك على الجبهة السوفييتية الالمانية . وقصمت القوات المسلحة السوفييتية أثناء النضال الدموي الطويل ظهر الوحش الفاشي ، وحطمت قوات الجيش الالماني الاساسية والاكثر اعدادا وتدريبا .

كانت الجبهة السوفييتية الالمانية أهم جبهات الحرب العالمية الثانية . فعليها تركزت على امتداد السنوات ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ الحشود الاساسية لقوات المانيا الفاشية المسلحة . فمثلا ، منذ شهر يونيو ١٩٤١ ، حتى بداية عام ١٩٤٤ ، كان يعمل على الجبهة السوفييتية الالمانية من ١٥٣ الى ٢٠١ فرقة المانية ، أو ثلثا تشكيلات القوات البرية للجيش الهتلري . وكان يخوض المعارك ضد القوات الامريكية والانجليزية في ذلك الحين ، ما يتراوح بين فرقتين الى ٢٤ فرقة المانية ، أي ما يشكل مجرد ٠ر٩ الى ٦ر٦٪ من التعداد الكلي لتشكيلات القوات البرية الالمانية . وفي الحقيقة فقد كان يحارب القوات الامريكية والانجليزية في تلك السنوات من ٣٨ الى ٨٦ فرقة ايطالية ، الا أن الاتحاد السوفييتي كان يواجه من ٣٧ الى ٧٣ فرقة من أذناب المانيا كانت تحاربه أيضا .

ان فتح الجبهة الثانية في غرب أوربا (يونيو عام ١٩٤٤) استدعى تغييرا في تناسب الفرق الالمانية التي كانت تدافع على كل من الجبهة السوفييتية الالمانية وجبهة غرب أوربا ، ولكنه لم يغير من أهمية الجبهة السوفيتية الالمانية كجبهة رئيسية في الحرب .

وكانت تحارب الجيش السوفييتي في يوليو عام ١٩٤٤ ، ٥ر١٧٤ فرقة المانية ، ٥ر٦٠ فرقة من توابع المانيا . كما كان يواجهه قوات حلفائنا في غرب أوربا ٥ر١٢٥ فرقة المانية .

وقبيل المعركة الختامية في عام ١٩٤٥ ، واجهت القوات السوفييتية ١٧٩ فرقة المانية و ١٦ فرقة مجرية ، أما القوات الامريكية والانجليزية فكانت تواجه ١٠٦ فرقة ألمانية .

تتحدد الاهمية الحاسمة للجبهة السوفييتية الألمانية ليس فقط لانه تواجدت عليها خلال الحرب كلها القوات الاساسية للجيش الالماني . فعلينا ان نأخذ في الاعتبار أيضا ان العمليات العربية الحربية على الجبهة السوفييتية الالمانية كانت تحمل طابعا استثنائيا في شدتها . فلقد تميزت بالنطاقات الضخمة في مساحات ميادينها ، وبطول زمنها وبنشاطها وضراوتها . أضف الى ذلك ، ما تشهد به وثائق العدو التي تم الاستيلاء عليها من أن القوات السوفييتية كانت تحارب أكثر الفرق المعادية مقدرة على القتال . ان القوات المسلحة الضخمة للعدو ، وفي المقام الاول قسمها الاساسي ـ القوات البرية ، كانت قد سحقت في معارك الشرق .

قامت القوات المسلحة السوفييتية على امتداد الحرب بتحطيم وأسر ٦٠٧ فرق للمحور الفاشى ، على حين أن القوات الامريكية والانجليزية حطمت فى غرب أوربا وشمال افريقيا وايطاليا ١٧٦ فرقة معادية • وتم على الجبهة السوفييتية الالمانية القضاء على ثلاثة أرباع الطيران الالمانى ، وعلى جزء كبير من المدفعية والدبابات • وفقد العدو هناك ١٠ ملايين نسمة ، وهم ثلاثة أرباع خسائر ألمانيا من القتلى والاسرى والجرحى فى الحرب العالمية الثانية ، وهى خسائر قدرت بـ ١٣٫٦ مليون نسمة •

ان الاهمية الحاسمة لنضال الاتحاد السوفييتى ضد المانيا الفاشية ، فى تحديد مصير العالم ، قد أجبرت فى حينه الزعماء القياديين فى الدول الغربية على الاعتراف علنا بها • فمثلا فى أيام شهر مايو ١٩٤٢ ، الايام العصيبة على الاتحاد السوفييتى ، أبرق روزفلت رئيس الولايات المتحدة الى الجنرال ماك آثر يقول : « من وجهة النظر الاستراتيجية الكبرى ، تظهر جلية الحقيقة البسيطة وهى أن الروس يقتلون عددا اكبر من جنود العدو ، ويحطمون له أسلحة أكثر وذخائر أكثر مما تقوم به الخمس والعشرين دولة من الامم الحليفة الباقية مجتمعة • » (١) كما أشار ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى رسالته الى ستالين رئيس الحكومة السوفييتية بتاريخ ٢٧ سبتمبر عام ١٩٤٤ الى ان « الجيش الروسى بالذات هو الذى بقرأ معاء الماكينة العسكرية الالمانية » •

وألحق الجيش الاحمر هزيمة كبرى أيضا بالقوات المسلحة لليابان فخلال الحملة القصيرة فى أغسطس عام ١٩٤٥ تم تحطيم جيش كوانتون الذى كان محط الفخار : ففقد أكثر من ٦٧٧ ألف جندى وضابط ، غالبيتهم وقعوا فى الاسر • ان التحطيم الساحق لجيش كوانتون قد اعتبر أحد العوامل التى أدت الى استسلام اليابان •

ولقد تم التوصل للانتصار على العدو المحنك ، والمسلح فنيا ، بواسطة جهود كل أنواع القوات المسلحة وأصنافها •

ان جنود المشاة والطيارين وجنود المدفعية والدبابات وجنود الدفاع الجوى والبحارة العسكريين ، والمحاربين من كل أصناف القوات قدأظهروا فى معاركهم مع الغزاة الفاشست آيات البطولة الجماعية ، والرجولة والبسالة • ولنورد بعض الامثلة فقط •

فى خضم المعارك الضارية مع الطيران الفاشى ، أسقط كل من ١٣٧ طيارا سوفييتيا من ٢٠ الى ٣٠ طائرة المانية ، و ٢٥ طيارا من ٣٠ الى

---

(١) نيويورك تايمز ، ١٩٥٥/١٠/٢٠ ، ص ١٠ •

٤٠ طائرة لكل ، وأسقط الطيار كوجيدوب ٦٢ طائرة المانية والطيار بوكويشكين ٥٩ طائرة ، ويفستيجنيف وريتشكالوف ٥٦ طائرة لكل منهم، والطيار جولاييف ٥٣ طائرة ، وجلينكا ٥٠ طائرة • وأسقط كل واحد من الطيارين فوروجيكين وكولدونوف وسكوموروخوف ٤٦ طائرة •

وقام مقاتل « الحرس » الكسندر ماتردسوف فى ٢٣ فبراير عام ١٩٤٣ ، فى المعركة عند قرية تشيرنوشكا بمأثرة خالدة • فلكى يعطى لكتيبته الفرصة للنهوض الى الهجوم ، غطى بجسمه كوة دشمة مدفع رشاش معادية • وأطلق على الفوج الذى كان ماتردسوف أحد أفراده اسم البطل. أما هو فقد سجل للابد فى قائمة هيئة السرية الاولى للفوج •وفى سنوات الحرب التالية كرر هذه المأثرة أكثر من ٢٠٠ من المقاتلين السوفييت •

لقد منحت لقاء المآثر والبطولات التى أبديت فى المعارك مع الغزاة الالمان الفاشست والامبرياليين اليابانيين ٥٣٠٠ الف وسام ، واكثر من ٧٥٨٠ الف ميدالية قتالية • كما استحق أعلى درجات الامتياز ، إتمب بطل الاتحاد السوفييتى أكثر من ١١٫٥ ألف شخص ، منهم ١٠٤ أشخاص حصلوا عليه مرتين ، وثلاث أشخاص حصلوا ثلاث مرات ، وهم : مارشال الاتحاد السوفييتى سيميون بوديونى ، والطيار المقاتل ايفان كوجيدوف ، والكسندر بوكريشكين ، وحصل عليه أربع مرات مارشال الاتحاد السوفييتى جورجى زوكوف • ومن بين الحائزين على الاوسمة والميداليات من رجال الجبهة فى سنوات الحرب ـ ممثلوا أكثر من مائة قومية •

لقد حصل الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) لا على النصر العسكرى وحده ، بل أيضا على انتصار اقتصادى على المانيا الفاشية • فانه باعتماده على مزايا نظام المجتمع والدولة فيه ، تمكن الاتحاد السوفييتى خلال فترة زمنية قصيرة من اعادة بناء اقتصاده الوطنى وفق متطلبات الحرب ، ومن تركيز الموارد المادية لحل المهمة الرئيسية ـ التوصل للانتصار على العدو •

وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفييتى كان يملك فى سنوات الحرب من الصلب ما يوازى حوالى ثلث أو ربع ما كان لالمانيا ، ومن الفحم ما يقل بمقدار ٣ ـ ٣٫٥ مرة ، فانه أنتج حوالى ضعف ما أنتجه العدو من السلاح والمعدات القتالية واستخدمت البلاد السوفييتية ٨ ـ ١١ مليون طن من انتاجها السنوى من المعادن بفاعلية تزيد عن فاعلية ٣٢ مليون طن مناظرة فى المانيا •

وخلال الفترة ما بين الاول من يوليو عام ١٩٤١ و ٣٠ يونيو عام ١٩٤٥ انتج الاتحاد السوفييتى اكثر من ٩٥ الف دبابة ومدفع ذاتى الحركة

وحوالى ٩٨ ألف مدفع ميدان واكثر من ١٠٨ الاف طائرة قتالية ، واكثر من ٦ ملايين رشاش خفيف على حين أن المانيا انتجت فى انفترة نفسها ٥٣٨٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحـــركه ، وحـــوالى ٤٥ ألف مدفع ميـــدان و ٧٨٩٠٠ طائرة قتالية ٠

كان لانتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى فى أعوام ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ أهمية تاريخية عالمية ٠ وكان من أهم نتائج هـذا الانتصـار ونتائج الحركة الثورية الهائلة التى استعرت فى نهاية الحرب وفى السنوات الاولى بعدها فى كل من أوربا وآسيا ، تكون الاسرة الاشتراكية العالمية ٠

أما النتيجة التالية فى أهميتها من حيث القيمة التاريخية التى أعقبت تحطيم ألمانيا الفاشية واليابان العسكرية فكانت هى النهضة العارمة لحركة التحرر الوطنى فلقد انطلقت على نطاق واسع حـركة التحـــرر الوطنى فى الهند وبورما وسيلان والفيلبين والملايو وكمبوديا ولاوس واندونيسيا وغيرها من البلدان التى كانت واقعة تحت الاستعباد ٠ وأعلنت فى عـام ١٩٤٥ جمهورية فيتنام الديموقراطية ٠ ولقد شهد كل هذا على بداية ســقوط النظام الاستعمارى ٠ وانفرجت أمام كل الشعوب المظلومة امكانيات جديدة فى اكتساب الحرية والاستقلال ٠

● رسالة الجيش السوفييتى التحريرية خلال الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) ●

لم تكتف القوات المسلحة السوفييتية فى سنوات الحرب الوطنية العظمى بالذود عن شرف واستقلال وطنها فحسب ، بل لقد حققت كذلك رسـالة تحريرية عظمى ، مدت يد العون المباشر لشعوب أوربا وآسيا ـ ضحايا العدوان ، فى استعادة حرياتها وسيادتها ٠ ولذا كان حقا ان يســمى الجيش السوفييتى بالجيش التحريرى ٠

لقد أدركت الشعوب المستعبدة فى أوربا ، انهـا فقط بتحـــالفها مع الاتحاد السوفييتى تستطيع التوصل الى التخلص من نير الفاشية ٠ وكان كل انتصار للجيش الاحمر يبعث فى قلوب الناس الايمان بالتحرير ، ويرفع من روح المقاومة فى البلدان المحتلة ، ويلهم الالوف من الوطنيين الاعمال النشيطة ضد الغزاة ٠

ففى الوقت الذى كان فيه مقاتلو الجيش السوفييتى ، يسحقون الفرق الهتلرية فى خضم اكثر المعارك صرامة من اجل تحرير وطنهم ، كانوا ايضا

يمدون يد المساعدة لشعوب أوربا التى كانت تناضل ضد « النظام الجديد » الفاشى .

وكان الجيش السوفييتى قد طهر تماما تقريبا ارضه العزيزة من الغزاة الالمان الفاشيست قبيل منتصف عام ١٩٤٤ ، ونقل عملياته الحربية الى خارج حدود الاتحاد السوفييتى . وبدات مسيرة التحرير العظمى . وادرك المقاتلون السوفييت بوضوح واجبهم الاممى ، وفهموا أية رسالة عظمى أصبحت من نصيبهم ، وسعوا لكى يكونوا جديرين بها .

وما ان حل شهرا يوليو ـ اغسطس عام ١٩٤٤ ، حتى كانت القوات السوفييتية قد حررت الاراضى البولندية الواقعة على الضفة الشرقية من نهر فيسلا ، التى تشكل ربع اراضى بولندا ، وحررت من الاستعباد الفاشى ٥ ملايين نسمة . وفى بداية عام ١٩٤٥ انزلت القوات السوفييتية ضربات ساحقة جديدة بالعدو ، وفى ١٧ يناير حررت العاصمة البولندية وارسو . وحارب معها كتفا الى كتف مقاتلو الجيش البولندى الاول. وبعد ذلك أتمت القوات السوفييتية بالعمل المشترك مع القوات البولندية الشعبية تحرير كل اراضى بولندا . ولقد جاء فى البرقية التى بعثتها الحكومة البولندية الى القيادة العامة العليا السوفييتية « ان الشعب البولندى لن ينسى ابدا انه قد حصل على الحرية وامكانية استعادة استقلال كيان دولته بفضل الانتصارات الباهرة للسلاح السوفييتى ، وبفضل ما أراقه المناضلون السوفييت من دماء غزيرة » .. لقد أصبحت الارض البولندية مثوى رفات ٦٠٠ ألف مقاتل سوفييتى .

كان وصول القوات السوفييتية للحدود السوفييتية الرومانية فى ربيع عام ١٩٤٤ ، قد غير من جذور الموقف فى رومانيا ، التى اقحمها حكامها الرجعيون فى حرب ضد الاتحاد السوفييتى . وفى ظروف الهجوم العارم للجيش السوفييتى فوق الارض الرومانية هبت القوى الوطنية الشعبية فى رومانيا تحت قيادة الحزب الشيوعى الرومانى فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٤٤ ، بالانتفاضة اسقطت دكتاتورية انطونيسكو الفاشية . وخاضت القوات الرومانية بالاشتراك مع القوات السوفييتية نضالا ضد الجيش الهتلرى ، واعلنت رومانيا الحرب على المانيا .

واثر ظهور الجيش السوفييتى فى شبه جزيرة البلقان تأثيرا حاسما على الاوضاع فى بلغاريا كذلك . اذ ان حكامها الملكيين الفاشيست . لعلمهم بالتعاطف الحار الذى يكنه الشعب البلغارى للبلاد السوفييتية لم يغامروا بمحاربة الاتحاد السوفييتى ، ولكنهم كانوا يساعدون المانيا الهتلرية بشتى الطرق . ودخلت القوات السوفييتية اراضى بلغاريا فى ٨ سبتمبر ١٩٤٤ . وفى اليوم التالى اشتعلت فى العاصمة صوفيا

انتفاضة مسلحة كان قد أعدها حزب العمال البلغارى ، واعلنت حكومة الجبهة الوطنية التى تسلمت مقاليد السلطة ، الحرب على المانيا الفاشية .

وقد تطلب النضال من أجل تحرير المجر من الطغيان الفاشى ، تطلب الجهود الجديدة والكثير من الضحايا من المقاتلين السوفييت . وفى ١٣ فبراير ١٩٤٥ ، وبعد حوالى شهر ونصف من المعارك الضارية ، تم تحرير عاصمة المجر بودابست ، اما فى ٤ ابريل فقد انتهت القوات السوفييتية من تحرير كل البلاد من الغزاة الهتلريين .

ان هزيمة القوات الالمانية الفاشية فى الجناح الجنوبى من الجبهة السوفييتية الالمانية اجبرت القيادة الهتلرية على البدء فى سحب قواتها من اليونان والبانيا . وخلق هذا الظروف الملائمة لانجاح عمليات جيش التحرير الالبانى الشعبى ، الذى اتم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٤ تحرير البلاد من الغاصبين الفاشيست .

وقدمت القوات المسلحة السوفييتية يد العون الاخرى للشعب اليوغوسلافى فى نضاله التحريرى ضد المحتلين الهتلريين وخدامهم. وحتى قبل دخول القوات السوفييتية أراضى يوغوسلافيا ، كان الاتحاد السوفييتى يساعد الوطنيين اليوغوسلاف بمدهم بالاسلحة والذخائر وغير ذلك . وفى نهاية شهر سبتمبر ١٩٤٤ ، عبرت القوات السوفييتية الحدود اليوغوسلافية بناء على طلب حكومة يوغوسلافيا الشعبية ،وذلك لمساعدة جيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى فى تطهير البلاد من المحتلين وفى اكتوبر عام ١٩٤٤، تم تحرير المناطق الشرقية من يوغوسلافيا ، وعاصمتها بلجراد ، وذلك نتيجة لعملية بلجراد الهجومية التى نفذتها القوات السوفييتية واليوغوسلافية والبلغارية .

لقد أدت النجاحات القتالية للجيش السوفييتى الى نهضة وطنية هائلة فى تشيكوسلوفاكيا . ففى اغسطس عام ١٩٤٤ ، اشتعلت انتفاضة شعبية فى سلوفاكيا .وقدمت القوات السوفييتية المساعدة للمشاركين فى هذه الانتفاضة بواسطة عملياتها الهجومية . فنقلت الى منطقة الانتفاضة الافراد والاسلحة والذخائر . وفى شتاء ربيع عام ١٩٤٥ قام الجيش السوفييتى بالعمل المشترك مع الفيلق التشيكوسلوفاكى الاول بطرد الهتلريين من المناطق الشرقية والمركزية والجنوبية فى تشيكوسلوفاكيا . وفى الوقت الذى كانت فيه القوات السوفييتية قد اتمت عملية برلين ، كان تجمع ضخم من القوات الالمانية الفاشية لا يزال فى تشيكوسلوفاكيا . وفى ٥ مايو عام ١٩٤٥ بدات فى براغ الانتفاضة

المسلحة التى تراسها الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى . واشتعلت معارك ضارية فى شوارع المدينة . وتوجه المشاركون فى الانتفاضة بطلب المساعدة من القوات السوفييتية عن طريق الاذاعة فدخل براغ جيشان سوفييتيان للدبابات فى فجر ٩ مايو بعد مسيرة عارمة من ضواحى برلين عبر جبال سوديت ، وانقذوا المدينة من الدمار . ونتيجة لعملية براغ التى دارت من ٦ الى ١١ مايو عام ١٩٤٥، حطمت مجموعة جيوش الوسط الالمانية ، وتم تحرير تشيكوسلوفاكيا من نير الفاشية . لقد جاد أكثر من ١٤٠ ألف مقاتل سوفييتى بحياتهم فى سبيل تحرير تشيكوسلوفاكيا .

كان لانتصارات القوات المسلحة السوفييتية التاثير الحاسم على مصير الشعب الفنلندى . اذا أعلنت الحكومة الفنلندية خروجها من الحرب فى جانب المانيا . وفى ١٩ سبتمبر عام ١٩٤٤ تم التوقيع على اتفاقية الصلح . وقد ابدى الاتحاد السوفييتى بجلاء ، رغبته المخلصة فى اقامة علاقات حسن الجوار مع الشعب الفنلندى . وبعدا نحطمت القوات السوفييتية فى نفس هذا العام القوات المعادية فيها فيما وراء الدائرة القطبية ، فانها طردت المحتلين من شمال النرويج ، وحررت جزءا من أراضى الدانمرك .

وفى ربيع عام ١٩٤٥ ، دخلت القوات السوفييتية أراضى النمسا مواصلة مسيرتها التحررية . وفى ١٣ ابريل طهرت فيينا عاصمة النمسا من العدو . وساعد الاتحاد السوفييتى الشعب النمساوى على استرداد الاستقلال والسيادة . كما حررت القوات المسلحة السوفييتية من نير الهتارية الشعب الالمانى نفسه .

وفى اغسطس ١٩٤٥ ، حطمت القوات المسلحة السوفييتية جيش كوانتون، وبذلك ساعدت شعبى الصين وكوريا على التخلص من المتدخلين اليابانيين وبتحطيم المانيا الفاشية واليابان العسكرية ، فصيلتى الامبريالية العالمية الضاريتين ، سطعت نجمة الحرية فى سماء الشرق العربى والهند والهند الصينية واندونيسيا ، واهتزت اركان الاستعمار فى افريقيا .

●

وجهة نظر..

ثمن العلاج في ظل الرأسمالية

تتأثر وتضار مستويات المعيشة للشعب العامل فى البلدان الرأسمالية حيث يسيطر القطاع الخاص على العلاج الطبى ٠ ويصبح تحقيق الربح الوسيلة لاثراء البعض بينما يجلب الشفاء والتعاسة للآخرين ٠

وفى أكتوبر ١٩٧٧ نشرت جريدة « فينانشنال تيمز » التى تتحدث باسم كبار رجال الاعمال فى بريطانيا مقالا ادعت فيه ان الرعاية الصحية فى البلدان الرأسمالية المتطورة المنتمية الى « منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية » تشهد الان عصرها الذهبى ٠ واقتبست الجريدة - فى مجال تدعيم وجهة نظرها هذه - عددا من البيانات الرسمية حول زيادة الاعتمادات المخصصة للصحة فى هذه البلدان ٠

ولا جدال أن بريطانيا اقدم البلدان الرأسمالية ذات تقاليد الصراع الطبقى الطويل والعنيد لتحسين الاحوال الاجتماعية للشعب العامل تدار فيها شئون الرعاية الصحية على اساس افضل من بلدان أوروبا الغربية الاخرى ٠ فمنذ اقامة الخدمة الوطنية الصحية فى عام ١٩٤٧ أصبح فى استطاعة العمال البريطانيين أن يحصلوا على العلاج الطبى المجانى ٠ ولا يمكن اعتبار مثل هذه المنجزات أمرا يرجع الى الرعاية المفرطة الانسانية من جانب النظام الرأسمالى ، ولكنها ترجع فى الحقيقة الى المعارك الطبقية الطويلة التى شنها الشعب العامل ، والتى يمكن أن نجد شبيها لها فى البلدان الرأسمالية الاخرى أيضا ٠

ومع ذلك ، فان هذا لا يغير كثيرا من الصورة التشاؤمية للرعاية الصحية فى البلدان الرأسمالية المتطورة ٠

ففى الولايات المتحدة الامريكية ازداد ما ينفقه المواطنون الافراد على العلاج الطبى فى ٢٥ر٩٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٦٠ الى ١٦٠ر٠٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٧ ٠ وهذا يعنى زيادة تقدر بـ ٦ اضعاف ٠ وقد اصبح الان ما ينفقه الفرد الواحد يزيد عن ٧٠٠ دولار ٠ ولكن من الخطأ أن يعتبر هذا دليلا على تحسن الاحوال الصحية للناس فى الولايات المتحدة حيث أن هذه الزيادة ترجع الى الارتفاع الكبير فى تكاليف الرعاية الطبية ٠ وهناك من الارقام ما يوضح ذلك : كانت تكاليف

عملية المرارة التى يجريها المواطن الامريكى ٣٦١ دولارا فى عام ١٩٥٠ واصبحت ١٦٠ دولارا عام ١٦١٠ ثم ١٫٣٩٧ دولارا فى عام ١٩٧٠ ثم ٢٫٢٠٨ دولار عـــام ١٩٧٧ ٠ وفى الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٧٧ ارتفعت اجور الاقامة فى المستشفى بما يــوازى ١٠ أضعاف ويبلغ اليوم ١٥٨ دولار فى اليوم الواحد وحسب ما تقوله جــريده « نيويورك تيمز » نقلا عن « انترناشنال هيرالد تريبيون فى عددها الصادر فى ٢ مايو ١٩٧٧ » فانه لن تمضى ســـــنوات كثيرة حتى نرى أجر السرير الواحد فى اليوم يصل الى ٥٠٠ دولارا فى ضوء ارتفاع التكاليف الذى يقدر بـ ١٥ ٪ سنويا » ٠ وفى مؤتمر عقد عام ١٩٧٧ فى واشــنطن عن مشاكل الرعاية الصحية فى الولايـات المتحدة قالت احدى المتحدثات وهى «كات جاتر » انها استلمت فاتورة بمبلغ ٤٤٫٠٠٠ دولارا خاصة بعلاج ابنتها ٠ وهناك مثال آخر ٠ طلبت مستشفى فى نيويورك من أحد المرضى قضى شهران فى المستشفى دفـــع فاتورة بمبلغ ٢٢٫١٤٧ دولار ٠ واصـــبح من الامور العادية فى الولايات المتحــدة أن تدفع مبلغ يتراوح بين ١٢٥ دولار و١٥٠ دولار فى مقـابل زيـــارة أحد الاطبـــاء للاستشارة الطبية، وتدخل ملايين الدولارات فى جيوب الاطباء الذين يكونون الثـروات من التشخيصات والتحاليل التى يجـرونها على أشخاص يتوهمون المرض ٠

وكما قالت جريدة « يونيتدستيس وورلد ريبورت » فى عـددها الصـــادر فى ٢٨ مارس ١٩٧٧ » فان الامريكيين ثائـــرون على فواتير العلاج الطبية ذات الارقـــام الفلكية والتى تسبب المتاعب التى لا حـد لهـا ولا نهاية لهــــا لملايين الناس ٠٠٠ والحقيقة ان الاطباء الذين يتبعون أساليب ملتـوية وغيرهم من العـــاملين فى دور الحضـــانة وأصـحاب معـــامل التحاليل والصيادلة يسلبون دافعى الضرائب مـــا يبلغ حوالى مليون دولار سنويا » ٠

وفى اليابان ترتفـع باضـطراد تكاليف العلاج الطبى ٠ وسجلت مصاريف الرعاية الطبية فى المستشفيات والعيادات اليابانية ارتفاعا يقدر بحوالى ١٩ ٪ فى عام ١٩٧٤، وتضاعف ثلاث مرات الرسم الذى يدفعــه المريض فى الزيارة الثانية التى يقـوم بها للطبيب الجراح او طبيب العيون ، وكذلك ارتفـع الى عشر أضعاف الرسم الـــذى يدفعــه المريض فى حالة زيارته أو طلبــه الطبيب فى ظرف طارىء او عاجل ٠ وفى عام ١٩٧٦ ارتفعت تكاليف الرعاية الطبيـه بما يوازى ١٠ ٪ وارتفعت أيضــــا أثمان الدواء ٠

وفى فرنسا يعمـد بعض الاطبـاء الى الاثـراء عـن طريق اســتغلال المرضى ٠ وأصبحت تكلفة الاقامة اليومية فى قســم الجراحة التابع لاحد مستشفيات الـــدولة تصل الى ٦٩٥ فرانك يضاف اليها ١٠ ٪ أتعاب للطبيب وللاختبارات البيولوجيـــة والجراحة ٠ وتبلغ تكلفة الاقـــــامة فى مستشفى خاص ٨٦٩ فرانك يضـاف اليها ١٠ ٪ أخرى لتغطية الاحتياجات الاخرى ٠ ولا ينكر أحد ان التامين الاجتمـــــاعى يغطى جزءا من هذه التكاليف ٠ ولـــكن من المسلم به ايضا أن هناك مبالغا كبيرة يتحصل عليها الاطباء غير الشرفاء عــن طريق هذا النظام وهم يتحصـــلون على رواتــب تتراوح بين ١٢٫٠٠٠ فرانـــــك و ٢٣٫٠٠٠ فرانك شهريا بخلاف الاتعـاب الاضافية ٠ وعلى سبيل المقارنة يمكننا أن نشير الى الحد الادنى الرسمى لاجر مئات الالوف من العمــــال الفرنسيين الذى لم يتجاوز ٢٫٢٠٠ فرانك شهريا فى ١٩٧٧ ٠

وفى جمهورية المانيا الاتحادية تضاعفت المساهمة التى يقدمها الشعب العــــامل فيما يسمى « بأرصدة المستشفيات » منــذ عام ١٩٦٠ وفى عام ١٩٧٦ بلغت ما يعادل ١٣٪ من متوسط الاجر ٠ وحسب ما تقول جرائد المانيا الغربية فان هذا الاتجاه اذا سمح له بالاستمرار فان هــذه المساهمات ستصل الى ٨٠ ٪ من دخل الفرد فى المانيا الغربية فى عام ٢٠٠٠ ٠

وفى ايطاليا بالرغم من وجود المستشفيات الحكومية التى يدفع التامين الاجتمــــاعى تكاليف العلاج الطبى فيها الا أن العيادات والمستشفيات الخاصة تلعب الدور الرئيسى ٠٠ وقـد أقــــام « البارونات الدكاترة » (الاطباء والاساتذة) مراكز قوى فى ميدان

الطب تجلب لهم أتعاب خيالية • وعلى سبيل المثال يدفع المريض فى بعض العيادات مبلغ ٢ مليون ليرة لازالة القرحة وقد قال «لويجى ماريوتى» وزير الصحة السابق فى ايطاليا ان « انصاف الالهة الذين يرتدون المعاطف البيضاء والذى يكسبون ملايين الليرات يوميا والذين يبلغ رسم الزيارة لعياداتهم رقما مريكا لا يقل عن الارباك الذى يسببونه للمريض بتوكيداتهم له بالشفاء السريع ، ان مثل هؤلاء الاطباء لسنا فى حاجة اليهم » (بانوراما - ١٤ يناير ١٩٧٦) • والغريب فى الامر أن نسبة الوفيات فى الاطفال (الذين لا يتجاوز عمرهم عاما واحدا) فى ايطاليا مازال فى نفس مستوى البلدان المتخلفة • وتزيد هذه النسبة فى الوفيات فى ايطاليا ١٧ مرة عن مثيلتها فى السويد و ٥ مرات مثيلتها فى فرنسا •

وتعتبر اصابات العمل والبيانات الخاصة بها أحد المؤشرات الرئيسية على ما تجلبه الراسمالية لصحة العمال • فاصحاب الاعمال لاهم لهم الا زيادة كثافة العمل وخفض الانفاق على الامن الصناعي والرعاية الصحية للعمال فى الصناعة • فالاسراع فى العمل ، والارهاق الجسدى والنفسى ، وتقسيم العمل بصورة يصبح فيها العامل مجرد ذيل تابع للآلة ،كل هذا يشكل الارضية المقيتة لنمو اصابات العمل فى البلدان الرأسمالية •

وهاك بعض الحقائق والارقام •

وفقا لبيانات « منظمة العمل الدولية » يقع حوالى ١٠٠٫٠٠٠ اصابة عمل جسيمة فى عالم الصناعة سنويا •

وفى المانيا الغربية يقع قتيل من جراء حوادث العمل كل ساعتين ونصف ساعة • ويصاب بالعجز سنويا ٣٠٠ الف شخص بسبب حوادث العمل • وزاد هذا المعدل فى عام ١٩٧٦ بمقدار ٦٫٤ ٪ بالمقارنة مع العام السابق • ويعتبر فقدان السمع من أكثر الاصابات انتشارا • ووفقا لتقارير الصحافة الالمانية الغربية هناك أكثر من ٢ مليون وظيفة معرضة للضوضاء والضجة الشديدة •

وفى فرنسا تشير الاحصائيات الرسمية (التى لا تعطى صورة كامله) الى وقوع ١٫١١١٫١٢٤ اصابة عمل فى مجال الصناعة فى عام ١٩٧٥ ويشمل الرقم ١١٨٫٩٩٦ اصابه عمل جسيمه • وكما تقول جريدة « لومانتيه » فى عددها الصادر فى ٢٥ فبراير ١٩٧٧ فان الرقم الرسمى عن الوفيات ١٫٩٨٦ يجب أن يضاف اليه ١٫٣٠٩ عامل قتلوا فى اثناء ذهابهم الى العمل • ويعنى هذا أن ضحايا نظام العمل الرأسمالى يزيد عن ٣٫٣٠٠ شخص •

وفى ايطاليا بلغ متوسط اصابات العمل ١٫٦٠٠٫٠٠٠ سنويا (أو عشر اصابات كل دقيقة) ، ويشمل هذا الرقم عددا يتراوح بين ٤٫٠٠٠ و ٥٫٠٠٠ حادثة وفاة و ٦٠٠٫٠٠٠ اصابة اقصت الى العجز الكلى •• وفى الفترة ما بين يناير ١٩٧٠ وديسمبر ١٩٧٥ توفى ٢٣٫٠٠٠ عامل (١٨ شخص يوميا) بفعل الامراض المهنية •

وفى الصيف الماضى نشرت أرقام عن معدلات الاصابة فى الصناعات التعدينية فى تسع دول اوروبية غربية فى عام ١٩٧٤ •• وتبين هذه الارقام ان الاصابات فى كل مليون ساعة عمل (وتشمل عدم القدرة على العمل لفترة تزيد على ثلاث أيام) بلغ متوسطها ١٠٥ فى ايطاليا ، ٩٠ فى جمهورية المانيا الاتحادية ، ٨٦ فى بلجيكا ، ٧٩ فى لوكسمبرج ، ٧٧ فى فرنسا ، ٦٣ فى الدانمرك ، ٤٥ فى ايرلندا ، ٣٨ فى هولندا ، و ٢٩ فى بريطانيا •

وقد علقت جريدة « يونيتا » (١٧ سبتمبر ١٩٧٦) على هذا قائلة : « تطورت عملية التراكم الرأسمالي والتقدم التكنيكى حتى وقتنا هذا ، دون أن يوضع فى الاعتبار الامن الصناعى ، ويظهر بجلاء أن سياسة الاستثمار لم تضع فى اعتبارها الا القليل لتوجيهه لمنع حوادث العمل (فى الانتاج) » •

واخيرا على المرء أن يضع فى الاعتبار الامراض التى لا تبدو أنها على صلة مباشرة بالانتاج ولكنها تعتبر فى حالات كثيرة من أمراض « الصناعة » • وتتصل

هذه الامراض بالاضطرابات العصبية والسيكولوجية المرتبطة بفقدان العامل لوظيفته والتهديد بفقدها أو الخوف من فقدها • ويقرأ المرء في الصحافة الغربية عن كثير من الحالات لاشخاص أصيبوا باكتئاب نفسي رهيب نتيجة لطردهم من وظائفهم • وعلى سبيل المثال فان الصحيفة البورجوازية الفرنسية الاسبوعية « لوبوانت » (العدد ١٩٢ بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٧٦) أجرت بحثا حول مجموعة من العمال عددها ٣٧٧ عاملا تعرضوا لعملية طرد جماعي من العمل • فبينما كان ٨٧ ٪ من هؤلاء العمال في حالة صحية جيدة للغاية الا انهم بعد أن فقدوا وظائفهم تعرض ٨٩ ٪ منهم للاكتئاب النفسي بالاضافة الى الارق والصداع وادمان المسكرات • واذا وضعنا في الاعتبار أنه كان هناك ما يقرب من ١٧ مليون عامل عاطل في البلدان الرأسمالية المتطورة وحدها في نهاية عام ١٩٧٧ ، يمكننا أن نستنتج على الفور العدد الضخم لحالات الاضطرابات العصبية في هذا الجيش من العاطلين •

وبالطبع لا تعطى الحقائق التي اوردناها هنا تقييما شاملا ، وان كانت توضح أن صحة الشعب العامل في المجتمع الرأسمالي ليست هي هذا النوع من الاستثمار الذي تعطى له الاولوية •

●●●

من المصادر الرسمية

مواقف معادية للانفراج

في العام الماضي اعتمدت البلدان الاعضاء في حلف « الناتو » الامبريالي ١٦٦ر٣٥٣ مليون دولار للاغراض العسكرية – وهذا الرقم لم يسبق له مثيل في تاريخ الحلف • فهو يزيد عن رقم عام ١٩٧٦ بمقدار ٢٤ مليون دولار ، و ١٦٪ ، كما أنه يفوق كثيرا متوسط معدل التضخم في بلدان حلف « الناتو » الخمس عشر •

وقد أوردت هذه الارقام احدى الجرائد المسئولة المتخصصة « الانباء العسكرية » •• وقد لاحظت الجريدة بأن توزيع النفقات العسكرية بين الولايات المتحدة وكندا من جانب وبلدان أوروبا الغربية الاعضاء في « الناتو » من الناحية الاخرى لم يتغير في عام ١٩٧٧ ، وبلغ رقمى ١٦٠ر١٠٩ مليون دولار و١٩٢ر٥٧ مليون دولار على التوالي•

وفي اجتماعات وزراء دفاع حلف الاطلنطي في عام ١٩٧٧ اتخذوا القرارات التي تستهدف تصعيد سباق التسلح • وأعلن في « أسبوع الاطلنطي » الذي نظم في باريس في الخريف الماضي أن عام ١٩٧٨ سيشهد تزويد بلدان حلف الاطلنطي بأعداد اضافية من الصواريخ المضادة للدبابات تصل الى ٠٠٠ر٤٧ صاروخ وبذلك سيصل رقمها الاجمالي الى ٠٠٠ر١٩٣ صاروخ مضاد للدبابات •

وكشفت نفس الجريدة أن القوات البحرية « للناتو » ستزود بأعداد اضافية من المدمرات (عشرة مدمرات) ، واحدى عشر كاسحة الغام ، وغواصتان ، وخمس زوارق طوربيد ، و ٢٣ هليكوبتر • وستزود ايضا القوات البرية لحلف

الاطلنطى بكمية اضــــافية من الدبابات (٢٦٥ دبابة) ، و ١٫٣٧٠ سيارة مدرعة، و ٨١٤ أداة اطـــلاق صواريخ مضـادة للدبابات ، وأكثر من ١٤٫٠٠٠ مطلقـــة قنابل يدوية • اما بالنسبة للقوات الجوية التابعة للحلف فانهـــا ستزود بـ ١٢٢ طائرة مقاتلة ، و ٢٢ طائرة نقل ، و ٦٣ طائرة هليكوبتر ، و ٢٦٠ مدفع مضـــاد للطائرات ، و ٢١٣ أداة اطـــلاق صاروخ أرض ـ جو •

ومع ذلك ، يبدو أن مخططى استراتيجية حلف « الناتو » لا يكتفون بهـــذا ، بل يريدون المزيد • ففى الخريف الماضى عكف الممثلون الدائمون لبلدان حلف الناتو فى بروكسل على وضع برامج طويلة المـدى لتـــدعيم قوات وأسلحة حلف الاطلنطى • ويستهدف هــذا البرنامج تحديث القوات النووية ، والاسـطول ، والدفاع الجوى ، وينطوى هـــذا البرنامج ايضـــا على الاستعدادات للاعمال العـــدائية ، والنقل السريع للتعزيزات ، وتعبئة الاحتيـاطى ، واحلال الاسلحة الجديدة •

وأخيرا ، اجتمعت مرة أخرى المجموعة التخطيطية النووية التابعة لحلف الاطلنطى فى بارى بايطاليا فى أكتوبر ١٩٧٧ • وقد حضر هذا الاجتماع وزراء دفاع الولايات المتحدة ، وألمانيا الغربيـــة ، وبريطانيا ، واليـــونان ، والدانمـــرك ، وبلجيكا ، وايطاليا بالاضـــــافة الى جوزيف لونز السكرتير العام لحلف الاطلنطى • وقـــد نوقش فى هذا الاجتماع فى أقصى درجة من السرية مشـــاكل اعادة التسليح النووى للحلف ، وخاصة مسألة انتـــاج سلاح « النيوترون » واســـتخدامه فى أوروبا الغربية • وتتمثل خطورة هـــذا السلاح الهمجى فى أنه يوصـف بأنه ســــلاح « تكتيكى » و « غير مؤذ » على الاطلاق • ولكن الهدف من وراء هذا الادعاء هـــو ازالة الخط الفاصل بين الاسلحة التقليدية والاسلحة النووية واســتدراج الشـــعوب لتقبل التحول الى الحرب النووية •

وقد علقت الجريدة الايطالية اليوميـة « يونيتـــا » فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ على مخططات حلف الاطلنطى قائلة : « يتساءل أناس كثيرون عما اذا كان هناك أى مبرر لقنبلة « النيوترون » التى يرى القـــادة العسكريين الامريكيين انه لا غنى عنهـــا لزيادة قدرة الردع لحلف الاطلنطى ، ويثير هؤلاء الناس سؤالا هاما حول العقبـــات الجديدة التى يخلقهـــا تزويد القوات المسلحة لحلف « الناتو » بهذه القنبلة أمام المحـادثات حول الخفض المتوازن للقوات المسلحة فى أوروبا الوسطى » •

ويعتبر ملايين الناس فى أوروبا الغربية وباقى أجزاء العـــالم أن قنبلة النيوترون ســـلاح بربرى وهمجى • وتتــــزايد احتياجاتهم القوية ضد مشاريع انتاجهـــا واستخدامها فوق أراضى القارة القديمة • ويطـــالبون ايضا بوضع حد للجــــولة الجديدة لسباق التسلح التى بدأها رجال حلف الاطلنطى والتى تتعـــــارض مع الانفراج •



● في الفن والثقافة :

● من عواصم العالم .

الجديد في السينما السوفيتية

بقلم : الكســـندر كاراامانوف

انني اذ اتحدث في ابحاث واكتشافات السينما السوفييتية ، لا أود التغاضي عن نواقصها ، فهي كثيـــرة وجدية .

ولا أريد الاســتخفاف بالقضايا غير المحلولة ، اذ انها كثيرة كذلك · وانا اتحدث كذلك عن التفاعل مع الســينما العالمية ، لا من حيث التأثير والتقليد ، بل من حيث تلك المهام التاريخية الملموسة التي حلتها وتحلها السينما السوفييتية ·

وأية سينما لا تقــوم باثراء العملية السينمائية العالمية الا اذا كان اهتمامها لا ينصب على التجربة الجمالية فحسب وانمــا ينصب كذلك على التجــربة الاجتمــاعية · ولقد كانت الســينما السوفييتية منذ طفولتها الاولى فنا فريدا ، سواء من حيث اتجاهها الاجتماعي ، أو من حيث تطلعاتها الجمالية · فهي لم ترسم الصورة الشاعرية للعملية الثورية فحسب ، بل فعلت ذلك ضمن اطار معبـرة وواضحة ·وهذا ما يرتبط مباشرة بأن الثورة الظافرة التي فتحت عهدا جديدا في تاريخ البشرية كانت مادة للتصوير · ومهمة النهوض بالفاعلية الاجتماعية للعرض الســينمائي أمر تشــارك فيه السـينما العالمية بأسرها ، ولكنهـا اكتسبت حدة خاصة في ظروف روسـيا الثورة · وقد عمل اساتذة الســينما السوفييتية على اعادة تشكيل السينما - ليحققوا بنشاط اكبر « اعـــادة تنظيم المفاهيم » ، عبر وسائل الفيلم ، كما قال ايزنشتين مخرج « المدرعة بوتمكين»

ومن المعروف أن المونتاج لم يكن من اختراعهم · فقد اســتخدمه الامريكيون في مستهل القرن · ولم يكن عبثـا أن يدخل الاستديوهات الســوفييتية لبعض الوقت مفهوم « المونتــاج الامريكي » · ولقد كان ذلك اعترافا طبيعيا بفضـــل الســـينمائيين الامريكيين · وكان من الطبيعي كذلك أن يظهر في هوليود بعد فترة قصيرة مفهوم « المونتاج الروسي » وهو مونتــــاج يركز على التحليـــل والدعاية ، ويرتــكز على مبـــدأ : « وهــذا يعني » ويكفي أن نتذكر ذلك المشـــهد الكلاسيكي ، وهو اطلاق النار على درج أوديسا في فيلم المدرعة بوتمكين ·

وكانت الثـــلاثينات في الاتحـــاد



السوفييتى فترة « هجوم ثان » ، وهو الوقت الذى شملت حماســـــة الرواد الاوائل للاشتراكية ملايين الكادحين فى المدينة والريف · وكانت الخطط الخمسية الاولى تجرى على قدم وساق · وكانت البلاد تتغيربسرعة ، وكذلك يتغير الناس ·· وحلت مكان الافلام الملحمية ، التى صورت شخصية الجمهور الثورى ،افلام سيكولوجية تعرض بالتفصيل انســـان الثورة الذى يتقضى ما يجرى معه خلال عملية النضال والبناء ··

ويظهر على الشــــاشة ابطال مثل الكساندرا سوكولوفا ، فلاحة بسيطة فى فيلم « عضو الحكومة » ، انتخبهـــا الشعب الى الســـوفييت الاعلى · ولدى هؤلاء الابطال يصبح معيار العمل معيار الكرامة الانسانية · وهم يعيشون فترة تغيرات داخلية وحدث سينمائى مضغوط الى درجة من التوتر الذى يســـتحيل وجوده فى الايام المعتادة « الرتيبة » ·

وظلت ابحـــاث وحلول الســـينما السوفييتية تتضمن « قيمة منهجية » عامة بالنسبة الى السينما العالمية ·· وكان تصوير الموقف الجديد من العمل وعمليات تشكيل الانسان الجديد يقتضى اثراء الذخيرة الجمالية للســـينما فى الكشف عن الطباع الانسانية ، وفى دمج التحليل السيكولوجى بالتحليل الاجتماعى

وخلال الثلاثينات ظهر فى الســـينما السوفييتية وضع نادر ، بل وفريد بالنسبة لتاريخ الفن السينمائى · فقد زال لفترة طويلة « التفاوت » بين التقييم المهنى للافلام وما تحظى به من نجـــــاح لدى المتفرجين · واذا كان الفيلم البوليسى « تيس ميند » وليس « المدرعة بوتمكين» او « الام » هو الذى حظى باكبر اقبال لدى المتفرجين فى العشرينـــات ، فان الفيلم الذى ضرب رقما قياسيا فى عدد المتفرجين فى الثلاثينات هو «تشاباييف» الفيلم الرئيسى فى ذلك العقد ، وذلك من جميـــع النواحى ، بما فى ذلك الاثراء الجمالى لامكانيات الصورة السينمائية·



لقد تمكنت السينما السوفييتية فى الثلاثينات من جعل الفن الجماهيرى رفيعا ، والفن الرفيع جماهيريا ٠

وخلال الاربعينات اصبحت السينما السوفييتية سينمامقاتلة واكتسبت واقعيتها فى تصوير أحداث الحرب خصائص جديدة ، وغدت اكثر صرامة ٠ وشهدت السنوات التالية تغييرات جديدة ترتبط باتساع مواضيع الافلام ، وتعقد الموقف من الحياة التى يجرى تصويرها

واذا كان ابطال السينما السوفييتية فى الثلاثينات يظهرون على الشاشة وفق سمات اجتماعية ونموذجية مرسومة بدقة ، فان السينمائيين اليوم يزيدون من التغييرات التى يناضل الانسان فى ظلها ، ويجعلون نظرتهم الى هذا الانسان أكثر تعقيدا ٠

فمثلا لو أن أيجور بروكودين فى فيلم « كالينا الحمراء » لشوكشين ظهر على الشاشة منذ حوالى اربعين عاما ، أى فى الثلاثينات ،، لاعتبر مجرد مجرم « تاب عن الاجرام » ٠ فهل يتطرق فيلم فاسيلى شوكشين الى موضوع «التوبة»، نعم اذ أن بروكودين يظهر امامنا فى هذا الثوب أيضا ٠ بيد أن موضوع « التوبة » ؟ ليس هو الموضوع الوحيد فى الفيلم ، وليس موضوعا رئيسيا ٠ اذ نجد فيه موضوعا آخر : هل الحب بين رجل وامرأة مختلفين من حيث السيرة وخبرة الحياة والتكوين الخلقى الروحي أمر ممكن ؟ واذا كان ممكنا فكيف ذلك ؟ ومن هنا « يبرز فى المقام » الاول من القيام موضوع مسئولية الانسان عن الحياة التى عاشها ٠ وعند حل هذا الموضوع يصل الفيلم الى أقصى جدته ، الى الثمن التراجيدى الذى يدفعه البطل لقاء السنوات التى أضاعها ، لقاء مأساة الام التى تركها فى وحدة قاسية. لقاء المصائب التى سببها لأناس آخرين٠

وابطال أروع افلام السينما السوفييتية المعاصرة ليسوا ابدا من طبيعة واحده وعليهم الايناضلوا ضد العوائق الخارجية بل وضد انفسهم كذلك ، اذ يرتفعون الى درجات جديدة من الوعى الاجتماعى ويكفى ان نتذكر فريق فيلم بوتنابوف فى فيلم « الجائزة » لسيرجى ميخائيليان ٠٠ الفيلم الذى يتحدث عن نضال لا هوادة فيه يخوضه العمال ضد الوسائل البالية فى ادارة الاقتصاد ٠

ان السينما التى تعلمت نقص الطباع الانسانية بنفس دقة الأدب ، تراقب باهتمام الترابط بين الاسس الاجتماعية والخلقية والروحية والعاطفية فى حياة الانسان ٠



المشاكل الاقتصادية بين اليابان وأمريكا



دوائر الاعمال فى اليابان حائرة . فسعر تبادل الين فى علاقته بالدولار يتزايد منذ شهور . وارتفاع سعر تبادل الين بالنسبة للدولار يعنى زيادة فى اسعار صادرات السلع اليابانية ، وبالتالى تدهور قدرتها على المنافسة . ويؤدى ذلك الى تدهور الصادرات اليابانية الى الولايات المتحدة ، وفى نهاية الامر ، الى الحد من الانتاج . فكلما ارتفع سعر الين فى علاقته بالدولار ، كلما قل سعر السلع الامريكية الصنع فى السوق اليابانى ، وزادت قدرتها على المنافسة . وكنتيجة لذلك ، فان زيادة سعر تبادل الين يؤدى الى تزايد حدة ظاهرة الركود فى الاقتصاد اليابانى ، والى تعميق الكساد .

ولا يوجد شىء غامض حول اسباب تدهور سعر تبادل الدولار فى علاقته بالين ، ويحدث ذلك بسبب الحالة غير السوية للاقتصاد الرأسمالى العالمى ، وفى المحل الاول ، الاقتصاد الامريكى نتيجة لتدهور الثقة فى الدولار الامريكى . واحد الاسباب الخاصة لذلك هو تزايد العجز فى الميزان التجارى الامريكى اليابانى ٥٨٠٩ مليون دولار فى الشهور التسعة الاولى لعام ١٩٧٧ . وفى نفس الوقت تراكمت فوائض ضخمة فى ميزان المدفوعات اليابانى . وفى النصف الاول من عام ١٩٧٧ وصلت هذه الفوائض الى ٥٥٠٠ مليون دولار . وتمثل التسويات الثنائية مع الولايات المتحدة أكبر نسبة فى موازين مدفوعات اليابان المواتية .
وستنتج بعض الخبراء الماليين فى اليابان كذلك أن الزيادة الحادة فى سعر تبادل الين يمكن ارجاعه لدرجة ما الى مناورات اقطاب المال الامريكيين لتحقيق فائض من الارباح والتى تهدف الى فرض سعر جديد للين والتغلب على المصاعب المالية والنقدية الامريكية على حساب

شركائها فى التجارة ، وفى المحل الاول ، على حساب اليابان ٠

لقد كان لاضطراب سوق النقد فى طوكيو تاثيره غير المواتى على الوضع الاقتصادى فى اليابان ، وعلى النشاط الاقتصادى فى البلاد بكامله ٠ ويتحدث خبراء المال اليابانيين عن الحاجة الى موازنة عاجلة لموازين التجارة والمدفوعات فى اليابان ٠ وفى المحل الاول فى تعاملها مع الولايات المتحدة ٠ وليس الامر سهلا ٠ وفى الحقيقة، فالامر يتعلق بخفض صادرات اليابان او زيادة وارداتها مما يؤدى بالضرورة الى عدوان خطير على مصالح رجال الاعمال اليابانيين ٠ ولا تبدى اية شركة يابانية أى استعداد للحد من ارباحها ٠ ونتيجة لذلك يلحظ المرء اختلافات متزايدة بين ممثلى رجال الاعمال والتجمعات السياسية المرتبطة بهم ووزراء معينين وادارات معينة ٠

ومن الواضح أن الزيادة الحالية فى سعر تبادل الين فى علاقته بالدولار عملية لا رجعة فيها ، فاعتماد اليابان على العلاقات مع الولايات المتحدة وبلدان غرب اوربا كبير جدا ، كما ان الضغط الذى تتعرض له من قبل هذه البلدان شديد للغاية ٠

ان سحب التضخم المظلمة ، وتزايد أسعار سلع الاستهلاك واتساع نطاق البطالة تتجمع فى سماء اليابان ٠ وهكذا تصبح العلاقة بين الين والدولار ليست مجرد مشكلة مالية ونقدية دولية هامة ، وانما مصدر اضافى كذلك لصدامات حادة على الجبهة السياسية الداخلية فى اليابان ٠

•••

الحد من إنتاج الحبوب

واشنطن

أعلنت وزارة الزراعة الامريكية عن برنامجها الجديد للحد من انتاج الغذاء ٠ وقد أتاح الرأى العام لهذا البرنامج الجديد للحد من انتاج الحبوب وسحب نسبة كبيرة منها من مجال التجارة الدولية ٠ وكما أعلن نائب وزير الزراعة الامريكي ى ٠ هوايت ، فسوف تطالب الحكومة الكونجرس بالموافقة على تخفيض ٢٠ ٪ من المساحة التى تزرع قمحا ، و١٠٪ من المساحة التى تزرع بحبوب العلف ٠ وهناك فكرة أخرى بحجز ٣٠ ــ ٣٥ مليون طن من الحبوب الغذائية كاحتياطى ٠ وعلى الفلاحين بالمثل أن يسلموا ٢٠ ٪ على الاقل من محصول الحبوب لعام ١٩٧٨ لخزنه كاحتياطى فيدرالى ٠

وتفسر وزارة الزراعة هذا البرنامج للحد من انتاج الغذاء بنقص الطلب على الحبوب ٠ لكن هذا التفسير غير مقنع ٠ فالطلب على الحبوب من ملايين الناس فى البلدان النامية ليس اليوم أقل مما كان منذ عدة سنوات عندما تخلت الولايات المتحدة عن برنامج الحد من انتاج الحبوب ٠

ومن المفيد ان نستعرض بعض حقائق التاريخ لنرى السبب الذى من أجله تتحدث وزارة الزراعة الامريكية الان عن انعدام الطلب على الحبوب ٠

كان انتاج الحبوب منذ فترة طويلة هو القطاع الزراعى السائد ٠ واعتماد امدادات الغذاء على انتاج الحبوب قد كشفت عنه بوضوح أزمة الحبوب المتعاظمة فى العالم الراسمالى عام ١٩٧٢ حتى ١٩٧٥ ، حينما انخفضت مخزونات الحبوب من ١٦٤ مليون طن (١٥ ٪ من استهلاك الحبوب عام ١٩٧٢) الى ١١٦ مليون طن

(١٠ ٪ من استهلاك ١٩٧٥) • والمجاعة التى أصابت عددا من البلدان النامية وتدهور نمو انتاج الماشية فى البلدان المتطورة ترجع فى الاساس الى أزمة الحبوب هذه •

لقد أوضحت أزمة الحبوب أن امدادات الغذاء تتوقف اليوم ليس فقط على معدلات نمو انتاج الحبوب وانما ايضا على هيكل انتاج الحبوب وتوزيعها الاقليمى ••

ان التغير الهيكلى فى نموذج استهلاك المحاصيل الزراعية قد عدل لدرجة كبيرة الاحتياجات التى يجب أن يلبيها تطور زراعة الحبوب •

والبلدان التى حررت نفسها من الاستعمار قد بدأت فى تطوير صناعتها ، وبالتالى فى زيادة نسبة السكان غير الزراعيين • لقد زادت معدلات استهلاكهم للحبوب الغذائية مما تطلب استيراد كميات أكبر منها من البلدان المصدرة للحبوب • وزاد الطلب على المنتجات الحيوانية فى أسواق البلدان الرأسمالية الصناعية ، مما خلق الحاجة الى تكثيف الانتاج فى هذا القطاع• ونتج عن ذلك زيادة حادة فى معدلات استهلاك حبوب العلف •• ولذلك زاد الطلب على حبوب الغذاء وحبوب العلف •

وفى ظروف تزايد الطلب على الحبوب حولت الاحتكارات الامريكية صادراتها الى وسيلة للتوسع الاستعمارى الجديد فى البلدان النامية • فكثير من البلدان النامية التى لا تملك امكانيات مادية لبناء قاعدتها الغذائية الخاصة ، تستورد الحبوب من الولايات المتحدة ، وهى مضطرة لقبول ذلك بشروط مجحفة •

ان اتجاه زراعة الحبوب نحو انتاج حبوب العلف وفول الصويا ادى الى زيادة حادة فى تصدير المنتجات الزراعية • ففى الستينات صدرت الولايات المتحدة من ١٨ ٪ الى ٢٨ ٪ من انتاجها من الحبوب (دون حساب الارز) • وفى السبعينات زادت الارقام الى ٣٠ ٪ ووصلت الى ٣٤٪ عام ١٩٧٦ •

وقد لعب نمو صادرات الحبوب دورا كبيرا فى زيادة أرباح الاحتكارات • ففى ١٩٧٦ صدرت الولايات المتحدة ما قيمته ٢٤٠٠٠ مليون دولار من المنتجات الزراعية •

وتزعم الدوريات الاقتصادية الامريكية أنه نظرا لتدنى الاسعار فان تجارة الحبوب غير مربحة • ومع ذلك فقد زاد أحد الاحتكارات الكبيرة وهو ، كورن برودكتس انترناشونال ، من أرباحه عام ١٩٧٦ حوالى ٥٠ ٪ بالمقارنة مع ١٩٧٣ • ويمكن أن يقال نفس الشىء عن الشركات الكبيرة الاخرى• لقد كان تصدير الحبوب ولا يزال مصدرا كبيرا للارباح •

وخلال السنوات الاخيرة استفادت الاحتكارات الامريكية من مصاعب الغذاء فى كثير من البلدان النامية فرفعت أسعار الحبوب لابعاد خيالية • وآذا طن القمح ، على سبيل المثال ، عام ١٩٦٥ يكلف ٦٣٫٩ دولار فقد بيع فى يناير ١٩٧٥ مقابل ٢٠٠ دولار للطن • وزاد سعر طن الذرة من ٥٦٫٣ الى حوالى ١٥٠ دولار عام ١٩٧٥ • لقد اصبح تصدير الحبوب منجم ذهب للاحتكارات • ونتيجة لذلك زادت لدرجة كبيرة مبيعات الحبوب وفول الصويا •

وكما كان متوقعا فان البلدان النامية التى كانت المستهلك الاساسى للحبوب الامريكية لم تستطع أن تدفع مثل هذا السعر • وخفضت بذلك كثيرا من وارداتها من الحبوب • وانخفض الطلب وتدنت الاسعار • ثم بدأت الاحتكارات تملى شروطها • وقررت أن تناور ، وأن تخفض احتياطات الحبوب فى السوق ، وتنتظر حتى ترتفع الاسعار من جديد ثم تلقى بهذا الاحتياطى الى السوق • ووضعت الحكومة الامريكية التى تتلقى توجيهاتها من الاحتكارات ، برنامجا جديدا للحبوب • وستقوم الحكومة بخلق احتياطى وتقدم القروض الى مختلف الشركات دون بيع هذا الاحتياطى • وسيجرى بيع الاحتياطى فحسب بعد أن ترتفع اسعار الحبوب وقد اشار بيان أصدرته وزارة الزراعة الامريكية الى انه تمشيا مع برنامج احتياطى الحبوب فان شحنات معينة من القمح والارز ، كان قد اعلن من قبل عن امكان بيعها لن تباع

قبل أن ترتفع الاسعار الى المستوى المعقول •

وهدف آخر للبرنامج يتلخص فيضمان أن مبيعات الحبوب تظل أداة للضغط الاقتصادى والسياسى على البلدان النامية التى تحتاج الى الغذاء •

ومع تدهور مشكلة الغذاء العالمية ، أصبح تصدير الحبوب الامريكية وسيلة هامة لممارسة الضغط الاقتصادى على البلدان النامية • وتطالب الاحتكارات الامريكية صراحة بأن تتخلى تلك البلدان نهائيا عن أية قيود على استثمار رأسالمال الاجنبى واستغلال موارد المواد الخام • والا فان مبيعات الحبوب وخاصة التى تتم بالاجل ستتوقف الى تلك البلدان • لقد فاقم من المجاعة فى بنجلاديش فى صيف ١٩٧٤ ، مثلا ، عدم قدرة البلاد على دفع ثمن شحنات الحبوب الواردة من الولايات المتحدة فى الحال • وكنتيجة لذلك أوقفت الشركات الامريكية امدادات الحبوب الى بنجلاديش فى وقت كانت فى اشد الحاجة اليها • وحدث نفس الشىء مع الهند عندما أوقفت الولايات المتحدة مبيعات الحبوب اليها فى العام الذى تدنى فيه المحصول فى الهند ، نتيجة لتعارض سياستها الخارجية مع سياسة الاحتكارات الامريكية • وهناك أمثلة أخرى كثيرة مماثلة •

تلك هى الحقائق • ان المسئولين الحكوميين فى الولايات المتحدة يحاولون تقديم برنامج الحبوب الجديد على أنه دليل على رغبتهم فى خلق احتياطى عالمىللغذاء •• وفى الواقع فان هذا الاجراء يحركه السعى لضمان أرباح أعلى للاحتكارات الامريكية التى تتحكم فى مبيعاتالمحصولات الزراعية •

• • •

تدهور الأخلاق فى دول الغرب

باريس

فى جميع الدول الغربية نشر اعلان عن طلب موظفين لديهم احترام عميق للدستور • ومثل هؤلاء الاشخاصالنادرين تبحث عنهم لجنة مسئولة لكى تعينهم فى وظيفة رئيس مكتب المباحث الفيدرالية • ومن بين ٢٥٠ مرشحا وصل خمسة فقط الى نهاية التصفية • بيد أن حتى هؤلاء الخمسة برهنوا على أنهم ليسوا بلا خطايا • فويلش رئيس فرع فيلادلفيا للمباحث الفيدرالية ترأس عملية سرقة الملفات السرية لبعض المنظمات السياسية المشبوهة وقدم الى المحاكمة ، بينما تكشفت علاقة مرشح آخر هو شريف لوكاس من ميتشيجان بمجرمين لهم علاقة بعالم القمار •

ان آثار « احترام الدستور » لا وجود لها نهائيا بين رجال البوليس السرى فى سكوتلانديارد البريطانى • فمقابلمعلومات سرية للغاية عن غارات البوليس المخططة قبضوا ١٠ ، ٢٠ ، ٥٠ جنيها استرلينيا من أصحاب الملاهى الليلية فى حى سوهو فى لندن •

وحيث أنه أصبح من الصعوبة بمكان أن تجد « رجالا أمناء » فى البوليس البريطانى اتخذ « قرار سليبمانى » حق : فوفقا لما تقوله الصنداى تايمز تم حل الفرق التى تكافح تعاطى المخدرات تماما ، لان رجال البوليس استغلوامراكزهم الرسمية لاعمال المضاربة والابتزاز •

ويباريهم فى ذلك المسئولون عن البوليس الجنائى فى المانيا الغربية ، الذين كانوا لعدة سنوات ، مقابل أجور معينة ، يتقديم معلومات سرا حول عديد من المواطنين الالمان الى هيئات المباحث الاهلية التى باعت هذه المعلومات بدورها لزبائنها مقابل مبالغ طائلة •

فأى نوع من الاشخاص يتحكم فى نشاط البوليس فى العالم المغربى ؟

لقد صدر حكم بالسجن لمدة ١٨ شهرا ضد مورى كيمورا العضو القيادى فى الحزب الديمقراطى الليبرالى الحاكم فى اليابان ، والمحافظ السابق لمحافظة فوكوشيما ٠ لقد كان يتلقى رشاوى ضخمة لمدة ١٢ عاما من شركات بناء عديدة مقابل عقود مجزية لمنشآت عامة ٠

أما جيوسيبيو بالدو ، السكرتير الشخصى لنائب وزير الداخلية فى ايطاليا وممثل الحكومة فى نفس الوقت فى منظمة فرولى - فينيس - جويلى ، فقد تلقى كما تقول صحيفة افانتى الصادرة فى روما ، رشوة تبلغ ١٤ مليون ليرة من شركة بريكاسا ، تعهدت بتقديم مساكن جاهزة لمدينة أصابها الزلزال ٠ وحصل بالدو على المبلغ ، غير أن سكان المدينة تركوا دون مأوى على الاطلاق ٠

ولقد تفشى وباء الفساد كذلك الى بعض بلدان آسيا وافريقيا ٠ ففى ليبيريا مثلا ، طرد اثنان من نواب الوزراء واحد مستشارى الرئيس تولبرت من مناصبهم لاتهامهم بأعمال غير قانونية ٠ وفى اندونيسيا تم القبض على ١٠٠ وكيل نيابة و ١٧ قاضيا لسوء استخدامهم لمهام مناصبهم ٠

فماذا عن أعضاء المجالس النيابية الذين يستدعون بحكم واجباتهم للاشراف على عمل الهيئات التنفيذية ؟

ان عشرين عضوا بالكونجرس الامريكى يعتقدون أن رجل الاعمال الكورى الجنوبى تونجسون بارك « رجلا غنيا وكريما » ٠٠ وحقا لقد أنفق خلال السنوات العشر الماضية عدة ملايين من الدولارات على أعضاء الكونجرس ٠ ولم تنفق هذه الاموال مقابل لا شىء ، وانما مقابل خدمات محددة : لشراء أصوات لصالح مواصلة شحنات الاسلحة لسيول وضد انسحاب القوات الامريكية من كوريا الجنوبية ٠ وهذا الرجل الذى قدم كل هذه الرشاوى كانت فى نفس الوقت متفننا فى تلقى الرشاوى فى نفس الوقت ٠ فقد حجز لنفسه قسما هاما من المبلغ ، وبذلك خدع حكومته التى أرسلته الى واشنطن فى هذه المهمة الحساسة ٠

واليكم مثال آخر هو صامويل شارون، عضو الكنيست الاسرائيلى الذى بدأ فى جمع ثروته فى أواسط الستينات عن طريق المضاربه فى بيع الاراضى فى فرنسا٠ ثم امتد نشاطه الى بلدان اخرى ، بما فيها الولايات المتحدة وتمكن هذا المضارب من جمع ثروة ضخمة ٠ وأخيرا ضمت وزارتى العدل الفرنسية والامريكية بهذا المضارب الناجح ٠ وفى هذه اللحظة بالذات سمع شارون دعوة الاجداد وهاجر الى اسرائيل، وهنا وضعه حراس النظام فى اسرائيل فى السجن واستمر فيه حتى ديسمبر ١٩٧٦ ٠ ولكن عند هذه النقطة وضع مبلغ كبير فى ميزان العدالة الاسرائيلية : فقد استثمرت ٣٠ مليون دولار من قبل « العبقرية المالية » فى اقتصاد البلاد ٠ واشترى المجرم ، كما كشف نائب الكنيست شولاميت ألونى ، أصوات الناخبين وبذلك ضمن حصانته ٠ وقد يصبح بعد قليل عضوا فى الحكومة ٠ وسيضاف شخص جديد مريب الى الحكومة الاسرائيلية حينذاك ٠ ويستطيع المرء أن يتذكر الفضيحة التى اتهم فيها وزير الاسكان ابراهام أوفر والزعيم النقابى آشر يادلين الذى رشحته الحكومة بعد محاكمته مباشرة لمنصب محافظ بنك اسرائيل ، واسحق رابين نفسه الذى احتفظ سرا بحساب فى احد البنوك الامريكية على خلاف ما يسمح به القانون الاسرائيلى ٠

ورغم ذلك ، فغالبا ما يحدث ما يسميه دعاة المجتمع البرجوازى « انتصار الديمقراطية » ٠ فبعض الاشخاص ذوى النفوذ يدخلون السجن احيانا لجرائم ارتكبوها ٠ لكن المجتمع الذى تحكمه التناقضات الطبقية لا يتمسك بالمساواة فى الحقوق حتى فى السجن ٠ فبينما يحرم معظم المسجونين الامريكيين من الحقوق الاولية فى الغذاء والملبس ويتعرضون للمعاملة المهينة غير الانسانية نجد أن هالدمان مساعد الرئيس الامريكى السابق للامن القومى وأحد المتهمين فى قضية ووتر جيت ، يحصل بانتظام على اللحم والخضروات وكل ما يشتهى من الاطعمة ٠ وفى سجن ماكسويل يعيش سجين آخر هو جون ميتشيل الذى قام بالتجسس على مقر الحزب الديمقراطى ، فى غرفة خاصة ٠ ويقدم له الطعام فى مقصف خاص وتغير قائمة الطعام يوميا حسب طلبه ٠



حقائق وأرقام

تعتبر التحولات التى حدثت فى تشيكوسلوفاكيا فى الاعوام الثلاثين للبناء الاشتراكى برهانا مقنعا على أن فبراير ١٩٤٨ يمثل مرحلة حاسمة فى تاريخ شعوبنا ٠

ويبرهن نمو الناتج الاجتماعى والدخل القومى على التطور السريع الذى شهدته البلاد ٠ وقد وصلت قيمة الناتج الاجتماعى حتى يومنا هذا الى ٠٠٠ر٠٠٠ر١ مليون كرون (بالاسعار الجارية) ، وهذا الرقم يمثل زيادة تقدر بسبعة أضعاف عن مثيلتها فى عام (١٩٤٨) ، هذا بينما زاد الدخل القومى ٥ر٥ ضعفا ٠

ويساهم القطاع الاشتراكى فى الدخول القومية (عام ١٩٧٧) بما يوازى ٩٨ ٪ ، بينما كانت هذه النسبة ٦٦ ٪ فى عام (١٩٤٨) ، هذا بينما تصل مساهمةالمنتجون الافراد الى ٢ ٪ فقط ٠ وتقدم الصناعة أكبر مساهمة فى الدخل القومى ، وقد ازدادت حصتها من ٥٨ ٪ (عام ١٩٤٨) الى ٦٩٪ عام (١٩٧٦) ٠

وقد حقق نمو الدخل القومى ارتفاعا مضطردا فى مستوى المعيشة ويصاحبه النمو فى الوسائل الاساسية للانتاج ٠ وقد بلغت حصة الاستهلاك الاجتماعى الفردى والمادى من استهلاك الدخل القومى ٥ر٧١٪ عام (١٩٧٦) ٠ وفى الفترة ما بين عام ١٩٤٨ و ١٩٧٧ تضاعف الاستهلاك الفردى أربعة اضعاف والاستهلاك الاجتماعى المادى ما يقرب من ٦ أضعاف ٠ وازداد رأس المال الثابت والمتداول ١٣ ضعفا ٠

وازداد الناتج الصناعى الاجمالى اكثر من عشر (١٠) مرات فى الفترة ما بين ١٩٤٨ و١٩٧٧ ، محققا معدل نمو سنوى يقدر بـ ٥ر٨ ٪ فى خلال السنوات الثلاثين الماضية ٠ وقد تحقق أكبر زيادة فى المنتج فى الصناعة الكيميائية ٨ر٢٦ ضعفا ، والصناعة الهندسية ٢٣ ضعفا ، وانتاج الوقود والكهرباء ٣ر١٠ ضعفا ٠

ويتمثل العنصر الحاسم فى تطوير الانتاج الصناعى فى الفترة التى نتحدث عنها ، فى ارتفاع انتاجية العامل التى

ازدادت أكثر من ستة أضعاف فى الصناعة. وتحققت أكبر الزيادات فى الصناعة الكيميائية (١١ ضعفا) ، والصناعة الهندسية والاشغال المعدنية (٩ أضعاف).

وقد أصبحت الصناعة الهندسية (صناعة الآلات) العنصر الاساسى فى نمو الاقتصاد القومى . وقد ساهمت هذه الصناعة بدرجة كبيرة فى رفع المستوى التكنيكى والهيكلى . وتحديث اقتصاد تشيكوسلوفاكيا ككل ، وساعدت فى الاسراع بنمو الانتاجية . وتعتبر الصناعة الكيميائية من اكثر الصناعات تقدما ، وزاد الناتج فيها ٢٣ ضعفا فى السنوات الثلاثين الماضية . وقد ساعد على هذا أن الصناعة الهندسية فى تشيكوسلوفاكيا كانت متقدمة جدا فى فترة ما قبل الحرب . وكذلك شهدت السنوات الثلاثين الماضية تقدما كبيرا فى صناعة التشييد والبناء . وحققت نموا يقدر بـ ١٢ ضعفا .

وقد ارتكز تطوير الزراعة على اقامة التعاونيات فى اطار عملية اعادة التنظيم التدريجى الاشتراكى لها . واليوم يقوم القطاع الاشتراكى المساهمة الاساسية فى الزراعة ككل . وتبلغ حصته فى الناتج الاجمالى منها ٨٦ ٪ . وتحققت أيضا زيادة ملحوظة فى الانتاجية فى هذا القطاع . واليوم يبلغ معدل الانتاج السنوى للعامل الواحد أربعة أضعاف ما كان عليه قبل الحرب .

وقد أمنت الاستثمارات الضخمة فى الزراعة نموها المضطرد بالرغم مما هو معروف عن انجذاب العمالة بعيدا عن المناطق الزراعية . فاليوم لا تزيد القوة العاملة فى الزراعة عن ٣٠ ٪ مما كانت عليه فى فترة ما قبل الحرب . وقد تطلب هذا اللجوء الى التركيز والتخصص فى الانتاج . وقد تحقق أكبر تقدم فى مجال تربية الماشية .

وقد حلت تماما مشكلة ميكنة محصول الحبوب . فيما مضى كانت الحاصدة الواحدة تعمل فى مساحة ٣٨٦ هكتار ، أما اليوم فقد انخفضت هذه المساحة الى ١٣٤ هكتار . وتستخدم الان اكثر من ٢٠٫٠٠٠ حاصدة لجمع محصول الحبوب .

« واليوم يدرك العمال الزراعيون من واقع خبرتهم أن الريف لم يشهد أبدا من قبل مثل هذه الحياة السعيدة المزدهرة التى أوجدتها الاشتراكية المنتصرة ونجاح سياسة الحزب » (تقرير الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ـ أكتوبر ١٩٧٥) .

وفى تشيكوسلوفاكيا ارتكز تكثيف التطور العلمى والتكنولوجى على قاعدة عملية ابتداء من عام ١٩٥٠ . واليوم يوجد فى تشيكوسلوفاكيا ١٦٥٫٠٠٠ فرد يعملون فى مجال الابحاث ، وهذا الرقم يعادل ٢٫٢٪ من مجموع القوة العاملة . ويحوز ٣٠ ٪ تقريبا من هذا العدد على درجات عالية ، بينما يحوز ٥ ٪ منهم على القاب اكاديمية أعلى . وقد ازدادت النسبة المخصصة من الدخل القومى لتطوير العلوم والتكنولوجيا ووصلت الى ما يقرب من ٤ ٪ .

ويتضح التقدم التكنولوجى فى تشيكوسلوفاكيا من الحقائق التالية :

ـ انشاء والتوسع فى الصناعات الاساسية مثل الالكترونيات ، الهندسة النووية ، والكيماويات . وكذلك الازدياد الكبير فى الدور الذى تلعبه الالة بالمقارنة مع العامل فى الانتاج ، حيث انخفضت فى السنوات الاخيرة ٢٫٧ مرة الخدمة التى كان يؤديها العمال فى خطوط الانتاج .

ـ ازداد دور الآلة فى الزراعة بما يعادل ١٣ ضعفا بالمقارنة مع عام ١٩٤٨ ، وبالتالى حرر ذلك أعداد كبيرة من الافراد للعمل فى فروع أخرى من فروع الاقتصاد .

ـ تم تحديث النقل وذلك بالاحلال التدريجى للقاطرات التى تستخدم الديزل والكهرباء محل القاطرات البخارية على الخطوط .

غير أن هذه الاستخدامات الجديدة والتكنولوجية خلقت بالضرورة الحاجة الى العمالة ذات الدرجة العالية من المهارة . ومنذ عام ١٩٥٣ ازداد عدد الاخصائيين

الحاملين على شهادات التعليم التكنيكى العالية أو الثانوية بما يعادل ٢٥٢٫٥ ٪، ووصل عددهم فى عام ١٩٧٧ الى مايساوى ٢٢٪ من مجموع القوة العامله ٠

وفى مارس ١٩٧٧ وصل عدد سكان جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية الى ١٥ مليون ٠ ويتسم التحول الاشتراكى فى بلادنا باحداث التغيرات الديموجرافية الملائمة ٠ وينص الدستور على حماية الاسرة وتؤدى القوانين الاخرى نفس الغرض ٠ وتمنح الأم أجازة وضع لمدة ٢٦ أسبوع مدفوعة ، ويمنح ٢٫٠٠٠ كرون لكل مولود جديد ، وتؤمن الدولة وتدعم أسعار منخفضة لاحتياجات ولوازم الاطفال وتوفر الدولة التعليم المجانى ٠٠٠ الخ ٠

وتوجد فى البلاد اليوم أكثر من ١٫٨٠٠ دار حضانة للاطفال فى مقابل ٢٦٨ فى عام ١٩٤٨ ، ويزداد عدد رياض الاطفال بنفس السرعة ٠

والمواطن التشيكوسلوفاكى ـ سواء من الجيل الماضى أو الجيل الجديد ـ لا يتهدده أبدا شبح البطالة ٠

وتتحسن الدخول بانتظام نتيجة للعمالة الكاملة وتطوير القوى الانتاجية ٠ وتوضح الارقام التالية معدل نمو أجور العمال ذوى الياقات البيضاء والزرقاء فى الصناعة : فى عام ١٩٤٨ كان المتوسط ٨١٤ كرون ، وفى عام ١٩٦٠ أصبح ١٫٤٣٦ ، وفى عام ١٩٧١ وصل الى ١٫٩٧١ ، وفى عام ١٩٧٧ وصل الـ ٢٫٤٠٠ ٠ وتوفر أرصدة الاستهلاك الاجتماعى دخولا اضافية من خلال الخدمات الاجتماعية التى نمت بصورة لم يحدث لها مثيل من قبل ٠ فتبلغ اليوم حصة الفرد سنويا من هذه الارصدة مايساوى ٧٫٦٠٠ كرون ٠ ويتضمن الشكل الاشتراكى للتوزيع من خلال الارصدة الاجتماعية الخدمة الصحية المجانية (تنفق الدولة ١٨٫٠٠٠ مليون كرون سنويا على الرعاية الصحية المجانية بما فيها الادوية التى تصرف مجانا) ، والتعليم المجانى ، والتامينات التى تشمل العجزة والمرضى (يبلغ متوسط المعاش للمتقاعد فى تشيكوسلوفاكيا ١٫٠٠٠ كرون شهريا) ، وكذلك المزايا التى تمنح للأسر ذوا الاطفال، والدعم الذى يقدم لتطوير الخدمات الجماعية ٠

وقد ازداد أكثر من ثلاث أضعاف الاستهلاك فى الطعام والسلع الصناعية منذ عام ١٩٤٨ ٠ ويستهلك سنويا المواطن التشيكوسلوفاكى العادى أكثر من ٨١ كيلو لحم ، ٢٠ كيلو دهون ، ٣٨ كيلو سكر ، ٢٠٠ بيضة ٠٠ الخ ٠

ويوجد لدى الاسرة العادية فى تشيكوسلوفاكيا غسالة كهربائية وجهازان راديو ، ويوجد لدى أكثر من ٩٥ ٪ من الأسر جهاز تليفزيون ، ويوجد لدى ٨٠ ٪ من الاسر ثلاجة ، وتمتلك كل أسرة من بين ثلاث أسر سيارة ٠

ويلعب التعاون الاخوى بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى وبلدان « مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة » دورا ايجابيا فى التطور الاقتصادى للبلاد واستقراره ٠ وتعتبر تشيكوسلوفاكيا فى اطار بلدان مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة منتج هام لعدد من المنتجات الصناعية الاساسية ٠ وقد بلغت حصة تشيكوسلوفاكيا فى ناتج « مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة» لعام ١٩٧٦ ـ ١٤٫٨٪ من الفحم البنى والليجنيت ،و٧٪ من الحديد الخام ، و ٧٫٤ من الصلب ، و ٩٫٥ ٪ من السيارات ، و ١١٫٦ ٪ من منتجات البلاستيك ، و٧٫٤٪ من الالياف الكيميائية و ٨ ٪ من الورق والورق المقوى و ٥٫٥ ٪ من الاقمشة ، و ٨٫٨ ٪ من الاحذية الجلدية ٠

لقد دخلت تشيكوسلوفاكيا مرحلة بناء المجتمع الاشتراكى المتطور ٠ ويعتبر الاشباع الكامل للاحتياجات المادية والثقافية للشعب وتوفير التعليم الذى يرغب فيه كل شخص الهدف الدائم للمجتمع وهو الامر الذى يلعب دورا نشطا فى خلق القيم الجديدة ٠

●

دائرة المعارف

● الجبهة الوطنية الفيتنامية .

فى بداية عام ١٩٧٧ عقدت جبهة الوحدة الوطنية الفيتناميـــة مؤتمرها فى قصر الوحدة فى مدينـــة هوشى منه ، مؤسسة الجبهة الوطنية الفيتنامية التى تضم الاحزاب السياسية والمنظمات العامة التقدمية فى شمال وجنوب جمهورية فيتنام الاشتراكية ٠

وهذا المؤتمر ، الذى عقد بعـــد فترة قصيرة من المؤتمر الرابع للحزب الشيوعى الفيتنامى ٠ أظهر من جديد تضامن ووحـدة السكان البـــالغ عددهم ٥٠ مليون نسمة ، وتصميمهم على الســـير فى طريق الاشتراكية ٠

وتقاليد الجبهة الرائعة مغروسة بشكل راسخ فى نضال الشعب الفيتنامى البطولى من اجل الاستقلال الوطنى والوحدة ٠

فجبهة الهند الصينية للنضال ضـــد الامبريالية ـ أول جبهة وطنية فى البلاد ـ تاسست فى بداية عام ١٩٣٠ بعد فترة قصيرة من قيام الحـــزب الشيوعى الفيتنامى (الذى اعيدت تسميته فاصبح الحـــزب الشيوعى فى الهند الصينية) فى ظروف تصـــاعد نضال التحرر الوطنى ضد المستعمرين الفرنسيين ٠

وتاسست رابطة النضال من أجل استقلال فيتنام ـ وهى جبهة وطنية موحدة لفيتنام ـ فى عام ١٩٤١ فى ذروة الحرب العالمية الثانية ، بمبـــادرة من الحزب الشيوعى فى الهند الصينية ، وتحت توجيهه وضمت الى جانب الحزب الشيوعى المنظمات النقابية ومنظمات الشبيبة والفلاحين وممثلى البورجـــوازية

الوطنيـــة ورجال الدين • ولعبت الرابطة دورا رئيسيا فى تشكيل جمهوريه فيتنـــام الديمقراطيه نتيجة لانتصار ثورة اغسطس ١٩٤٥ ودحر العدوان الفرنسى عام ١٩٥٤ •

وبدات الجبهة الوطنيه الفيتنامية عملها فى الايام الصعبة عام ١٩٥٥ عندما كانت توضـــع الاسس لمجتمع اشـــتراكي فى الشمال ، بينما اقيمت فى الجنوب حكومه عميلة وتابعة كلية للامبريالية الامريكية • وبعد بضع سنوات ، خلال النضال المسلح الواسع ضد نظام حـكم سايجون الفاسد ، خلق الوطنيون الفيتناميون جبهة التحرير الوطنى فى جنـــوب فيتنـــام ، التى ناضلت نضالا بطوليا ليس من أجل التحررالوطنى للجنوب فحسب ، بل ومن أجل توحيـــــد البلاد بأسرها •

وفى عام ١٩٧٦ ، بعد انتصار الشعب الفيتـــــامى التاريخى على المعتــــدين الامبرياليين ، خلعت جبهة الوحدة الوطنية الفيتنامية على أساس دمج الجبهة الوطنية الفيتنامية (١٩٥٥ ــ ١٩٧٦) وجبهة التحرر الوطنى فى فيتنام الجنوبية (١٩٦٠ ــ ١٩٧٦) واتحاد القوى الوطنيه والديمقراطية وقوى الســلم الفيتنـــامية (١٩٦٨ ــ ١٩٧٦) • واستكملت هذه العملية فى فبراير ١٩٧٧ بتشكيل الجبهة الوطنية الفيتنامية •

وقد تحدث لى دوان ، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى الفيتنامى ، مخاطبا المؤتمر التأسيسى للجبهـة الوطنية الفيتنامية ، بتقــدير عال عن الدور الذى لعبته هذه المنظمات الوطنية فى نضـــال الشعب الفيتنامى ، فقال : « ان جبهـــة الوحدة الوطنية ساهمت مساهمة هامة فى الانتصــــار فى النضال ضــد العدوان الامريكى ومن أجل الخـــلاص الوطنى • والجبهة التى تقودها الطبقة العاملة تنمو وتتعزز وتلف الشعب حول الحـــزب • وأصبحت جبهــة الوحدة الوطنية أحـــد العوامل الرئيسية لانتصارنا • والجبهـــة الجديدة هى جبهةالشعب كله ، توحد جميع فئات الســـكان وتلهمهم تحويل بطولتهم الثورية الى بطولة فى العمل •

وفى ٤ فبراير ١٩٧٧ ، صادق المؤتمـــر التأسيسى فى مدينة هوشى منه على برنامج الجبهة الوطنية السياسى ذى النقـــاط الثمانى الذى يتمثل هــــدفه الرئيسى فى « توحيد الشعب كله فى سبيل فيتنام مسلمية مستقلة موحدة واشتراكية » •

ويشير البرنامج الى انه لابد من تقوية سلطة الجماهير العاملة فى عملية بنــاء دولة دكتاتورية البروليتـــاريا واجـــراء تحولات ثورية فى عــــلاقات الانتاج وفى العــلم والتكنولوجيـــا والايديولوجيـــا والثقافة • وتقول الوثيقة أنه لابد من خلق الظروف المواتية لكى يشارك جميع المواطنين فى ادارة الدولة والاقتصـــــاد والشئون العامة ، ولكى تلعب الجبهة الوطنيــــــة الفيتنامية دورا نشيطا فى تعـــزيز أجهزة السلطة الشعبية والرقابة عليها • واحدى المهام الرئيسية للجبهة الوطنية الفيتنامية تتمثل فى تعبئة الشعب كله لاعادة بنـاء الاقتصاد وتطويره ، ومن أجـــل التصنيع الاشتراكى وازالة الفقر والتخلف وتحويل الانتاج السلعى الصـــغير الى انتـــاج اشتراكى واسع النطاق •

وسوف تنشر الجبهة الوطنية الفيتنامية النظرية الماركسية اللينينية ونهج وسياسة الحزب الشيوعى والتقـــاليد الوطنيـــة والاعمال البارزة للثقافة العـــالمية فى شطرى البلاد •

ويرى البرنامج السياسى للجبهةالوطنية الفيتنامية ان احـد اهدافهــــا يتمثل فى الاهتمام بظروف الشعب المادية وحيـــاته الروحية وبتطبيق مبادىء المســاواة بين القوميات والمســاواة بين الرجال والنساء واحترام حرية الدين •

وسوف تطور الجبهة الصداقة والتعاون العالميين والتضامن النضالى والتعاون بين جمهورية فيتنـــــام الاشـــتراكية وشعوب البلدان الاشتراكية الشقيقة على أساس الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ، ومع شعبى الهنـــد الصينية الشقيقين فى لاوس وكمبوديا ، ومع شعوب البلـــدان النامية وغيرها من البلـــدان • وسوف تؤيد بنشاط نضال الشعوب ضدالامبريالية

والاستعمار القديم والجديد ورأس المـــال الاحتكارى والتمييز العنصرى ، من أجـل السلم والاستقلال الوطنى والديمقراطيـــة والاشتراكية ٠

ويؤكد البرنامج فى الختام على التصميم على تعزيز جميع المنظمات الثورية داخل الجبهة الوطنية الفيتنامية ، وجميــــع الوطنيين بغض النظـــر عن الخلفيـــة الاجتماعية والقومية والدينية والجنس او المهنـة ، وجميع الـــذين يحبون الوطن ويؤيدون الاشتراكية ٠

وجرى التأكيــــد فى المؤتمر التأسيسى للجبهة الوطنية الفيتنامية على ان القـوة القائدة والموجهة للجبهـــة فى الحـزب الشيوعى الفيتنـــامى ، الطليعة المجرية للطبقة العاملة الفيتنامية وأكثر المدافعين عن مصالح الامة الفيتنامية الحيوية ثباتا والمنظم لجميــــع انتصــــارات الثورة الفيتنامية ٠

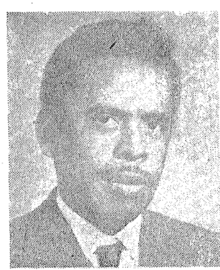
وتضم الجبهة الوطنية الفيتنـــامية الى جانب الحزب الشيوعى الفيتنامى الاحزاب السياسية الاخـرى والمنظمات العـــامة التقدمية (الحزب الديمقراطى الفيتنـامى والحزب الاشتراكى الفيتنامى والاتحــاد العام للنقابات الفيتنامية واتحـاد النساء الفيتناميات واتحـــاد الشباب الفيتنامى ومنظمات أخرى) ٠ وتوحـد الجبهة جميع الطبقات والفئات الاجتماعية فى البـلاد وكذلك المواطنين الفيتناميين المقيمين خارج البلاد ٠

والجهاز القيادى للجبهة هو اللجنـــة المركــــزية التى تتالف من ١٩١ عضـوا وتنتخب هيئة رئاستها وسكرتاريتها ٠ وقد انتخب المؤتمر التاسيسى « هوانج كوفيت » رئيسا لهيئة رئاسة اللجنة المركزية للجبهة الوطنية الفيتنامية « ونجـــوين فان لين » سكرتيرا عاما لها ٠ والرئيس الفخرى لها هو «تون دول تانج» ، رئيس جمهورية فيتنام الاشتراكية ٠ وتعمل الجبهة بنشاط من أجل تنفيذ برنامجهـــا السياسى ٠ وقد ناقش اجتماع موسع لسكرتارية اللجنة المركـزية للجبهة فى ابريل الماضى برنامج عمل الجبهة لعام ١٩٧٧ ، فاكد على أهمية التحضــــير لانتخابات مجالس الشعب على جميــــع المستويات والرقابة عليهـــا ٠ ويجـــرى التخطيط لكونفرنسات للجــــان المحليـة للجبهة الوطنية الفيتناميـة ، بما فى ذلك الكوميونات ، لمناقشة مشروع لدستور جديد وتعبئة الجماهير الواسعة فى سبيل توسيع وتعزيز طريقة الحياة الجديدة والثقـــافة الاشتراكية ٠ وقد وضعت خطة لاجــــراء انتخابات لجان الجبهـــة على مستوى الكوميونات لمواصلة تعزيز وحدة العمـل للمنظمات المحلية العامة وفقـــا للبرنامج السياسى للجبهة الوطنية الفيتنامية ٠

وقد كتبت « نان دان » صحيفة الحزب ، قائلة ان الوحـــــدة الواسعة بين القوى الوطنية والتقدمية بقيادة الحزب الشيوعى ساعدت فيتنام على دحر العدوان اليابانى والفرنسى والامريكى ، وعـــلى احــــراز الاستقلال وتوحيد البلاد التى قسمت بالقوة ٠٠ ومثل هذه المساهمة ستكون حاسمة فى المساعدة فى اقامة مجتمع اشتراكى مزدهر فى فيتنام الموحدة ٠

●

● اشترك في هذا العدد



● روبن داريوسوزا :

السكرتير العام لحزب الشعب فى بنما

● ايزاكياس بابايانو :

السكرتير العام للحزب التقدمى للشعب العامل فى قبرص (أكيل)

● اب نورلاند :

عضو اللجنة التنفيذية وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الدنمركى

● بادامين لهامسورين :

عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الثورى المنغولى

● كارلوس نونيز :

عضو احتياطى للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى بيرو

● فيتالى موبيف :

عضو هيئة تحرير مجلة قضايا السلم والاشتراكية



SOCIALIST STUDIES

MARCH 1978

MAIN SUBJECTS

- For Panama's Complete Independence.
- Higher Education Under Socialism.
- The Energy problem : the class aspect.
- Some Aspects of Monopoly Domination of the mass Media.
- The cost of Health Under Capitalism.
- special Part on : Soviet Army day

●●●



مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السلم والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة :
أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :
صبرى أبو المجد

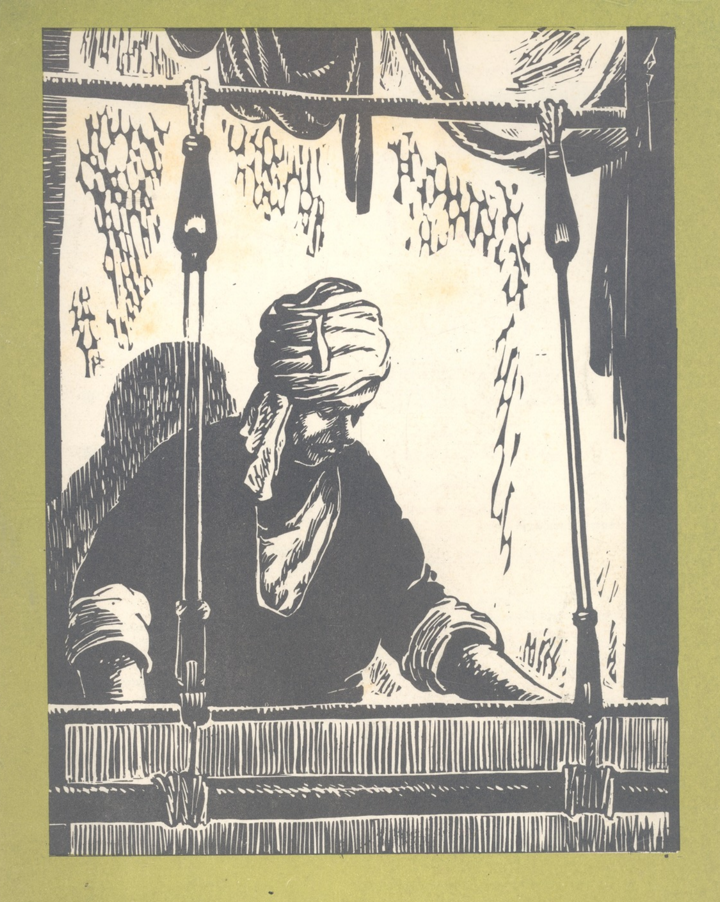
رئيس التحرير :
إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا. فى الأردن والعراق ١٣٠ فلسا.

قيمة الاشتراك السنوى : «١٢ عددا» فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر انحاء العالم، ٥ ونصف دولار او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال. فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية. فى الخارج بتحويل او شيك مصرفي قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب.

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب : القاهرة.

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



تقاسيم على النول

للفنان: هبه عنايت

١٠ قروش